افتراضاتٌ تناظُرية ومَنطق

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022\1\334)

افتراضات تناظرية ومنطق/ نرمين وليد رجوب.- عمان المؤلف2022.

رقم الإيداع:2022\1\334

المواصفات: النصوص الأدبية // الأدب العربي // العصر الحديث

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أوأي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة

2022

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أونقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

افتراضاتٌ تناظُرية ومَنطق

نرمين وليد رجوب

مِنطقة راحَتي

رُكن دِفئي

مُتنفس ضَياعي

- خِطابُ أنامِلي لكِتابي

(*)

افتراضاتٌ تناظريّة ومَنطِق:

رسائلٌ تتعلقُ بشخصياتٍ تقمصتُها في خيالي، ما استنبطهُ وما شعرتُ به، ما زرعتهُ داخل أوردتها، وما أعطيتها من قوّةٍ مُصطنعة ..

رسائلٌ باختلافِ تلك الشخصيات، وتقلّب مزاجها، تراها مُحبّة في هذهِ الساعة، فتنقلبُ على عقبيها في الدقيقة التّي تليها.. اقرأ الكتابَ جيداً في خِضم ساعات الليل، كُل يوم نص، كُل يوم بمزاجٍ لكيلا تتشتت، لا أعتقد أنني وضعتُ علاقةً وثيقة بين كُل نص وأُخراها..

كُل واحدة تُعبّر عن حالٍ، مكانٍ وزمانٍ جديدين، لا تربط كُل منهما بأُخرى، تعامل معها بوضوحٍ ويُسرٍ.

(**)

الرِسالةُ الأُولى..

رُبما دفعتني رغبتي بالكِتابة واكتشاف الحُروف ..

ورُبما دخلتُ بحالةِ شبه انبهارٍ عندما كوّنتُ جُملةً حاملةً لمُفرداتٍ بسيطة ..

ساعدتني الأيام الجامدة في تركيبِ نصاً ذو معانٍ واضِحة المعالِم، بسيطة الألفاظِ.. وعميقة المعنى..

لكن رغبتي كانت تُناجي الأعمق،

أعترفُ أنها كانت ركيكةٌ بعض الشيء، لكننا نضجنا ..

اخترنا معانٍ تليقُ بنا، بتكامُلِ نُصوصِنا ..

لكننّا لم نفعلَ ذلك وحدَنا ..

ساعدتنا بعض الخُطواتِ على خوضِ تجارب لم نكن نتوقع خَوضِها ليوم ..

جديدة وعَصرية الملامح ..

مُتعبة بعضها والبعض الآخر يسيرٌ وهَيّن..

يدٌ أخذت بنا، رافقتنا على الدوامِ، أرشدتنا باستمرارِ، وصحّحت لنا الأخطاءِ،

آثار كلامنا.. ضحكاتنا.. وقائعنا.. ماضينا.. مُذكراتنا.. أحزاننا، أشياء كثيرة جاءتنا بها الحياة نادرةٌ، مركونة بشطايا الأيامِ، بعد جِهادِنا فيها لأعوامٍ..

....

أتذكُرينَ تعديلاتكِ على نُصوصيَ الضعيفة؟ ركيكة المعاني، مُبتذلة التفاصيل؟ جعلتني اليوم أُدركُ كُل شيء، أعودُ لتلكَ الفترةِ مرّة أُخرى، أقلِبُ صفحات الأيام المارّة عليّ كغطاءٍ يحميني مِن حَسرةِ الماضي.. لكن الآن، في لحظاتٍ قليلة، أُعيدُ لكِ ورقي مُحمّل بالحِبرِ الجافِ ..

أتتخيّلين؟

أصبح ما أكتُبهُ مِن سخافةٍ مطليٌّ على ورقٍ كأوراقِ الكُتب الحقيقة !

الورق المائل للصُفرة.. أريج رائحته.. ملمسهُ الأملس.. كُل شيء لا يُصدّق.. أتُصدّقين؟

الأهمُّ مِن هذا كُلّه.. تركتُ هذهِ الرسالة لكِ ..

لطالما أحببتِ ما أكتب.. ولطالما كرهتِ ما أُدوّن ..

*هُنالِكَ بعض النصوص القديمة، القديمة جداً... وأغلبُها نُشرت وكانت مِن تحتِ إشرافُكِ ...

مُمتنة لكِ..

دُمتِ دائماً بخير

لانا.. (اسمُكِ كما لطالما تمّنيتِ أن أضعهُ في إهداءِ كتابي)

(***)

الرِسالةُ الثّانية..

ليس كل شي معنيٌ بي، ليس كل ما أكتبه يحولُ حول ذاتي، بل كل ما أُدونه مَعنيٌ بالجميعِ!

عبارةٌ دُونت على آلافِ الصفحاتِ،

تَرحلتْ في اليومِ مئة مرة

إلى أن وصلتْ لمحطتي:

-ليس كل مَن يكتبُ يشعر بتلك اللهفة، أحياناً تُجبرهُ بعض المواقفِ على تخليهِ عن الحدودِ ليبدأ بسردِ أُمورٍ خارجَ حدوده، وحدود الكتابة.. أشعر بهذهِ الناحية وكثيراً.

نبدأ بكتابةِ نصٍ كأنه لا مغزى لنا، يصلُ لأُناسٍ مُتفهمون عاقلون، لن يسردوا القصص أو ما شابه على كاتبٍ وكِتاب!

لكن ما لم نفكر به قبل كل شي! إن نظروا لنصٍ ممتلأ بالحُبِّ، عاجز عن التعبيرِ، مُرفه الأحاسيس والمشاعر... ماذا سيقولون؟

الأمر الاضطراري ليس بهذه الفِقرة، بل ما سيولدون في تفكيرهم..

وأنهم ليسوا بالعالمين أن مَن يكتبُ نصاً، أو حتى قصيدة، ليس من المفترضِ أن يعيشَ موقفاً ليُدونها..

فقد عشتُ بضعةِ سنة، وأشعر بأن حياتي كَالفيلم تماماً، لم أُفرقهُ عن نصِ السيناريو، ولم أتخيل أبداً أن حياتي ستتقوسُ تلقائياً مع ذكرِ تلك التفاصيل، ولم أتخيل أبداً أنّني أستطيعُ إخراجها بقلمٍ، لتظهرَ لسائرِ البشر، مَن هُم على قيدِ الحياةِ، ومَن سيتوفون قريباً..

ليسَ كُل ما أكتبهُ يُعبّرُ عنّي..

قد تكون روايةً بينَ يديك، أُكملها أو أعيدُ صياغتُها بالطريقةِ التَّي أجدُها مُناسبة من وجهة نظري، أو رُبما سيناريو لأحد الأفلام، لم تقل البطلة ما يكفي للبطل، أو لم يقل لها سوى كلاماً موجزاً لسببٍ مُعيّن، فأكتبُ رداً يُناسبُ الطرفين، مِن منظوري ووفقاً لقواعد وأفكار خيالي. حتّى وإن كتبتُها تُعبّر عنّي، مُصاغَة عنّي، فلا شأنَ لكَ، إنّ ما يُعنيني ليسَ شرطاً أن يُعنيك، بِمكنكَ التَّصرف بمُمتلكاتكَ وأفكاركَ كما يحلو لك، أما بالنسبةِ لنيتي، وما أظهُرهُ لك، ليسَ من الضروريِّ أن يكونَ صحيحاً، لذا، اهتم بنفسك قبل الاهتمامِ بصاحبِ النداء.

(**)

تَقّمصتُ أدواراً أو رُبما انتحلتُ شخصيات

يُمكنني الكِتابة مِن غيرِ مشاعر،

أو مِن غيرِ العيش في اللحظةِ ذاتها،

يُمكنني تقمّصُ دَور المُحبِّ،

وأنا لا أشعرُ بالحُب، أو أية من هذهِ المشاعر..

أكتبُ قصيدةً مُبعثرة،

أو شعرٌ غير موزون

يُمكنني تقمّصُ دور المُعاتِب

عاتبني كيفما شئت..

فإنني أكتفي بما سأُدونُهُ لكَ في كِتابٍ تمسكهُ مُستقبلاً بينَ يديك، لتعلمَ أن هذهِ الحُروف المُبعثرة في الجُمل الأنيقة موّجهةٌ لك.. كأنهُ شُعاعٌ موجهٌ من بينَ أسطرِه لحالكَ العنيد، ولرأسكَ الصلب .

يُمكنني تقمّصُ دور القاضي،

أحكمُ ما بيني وبينك، أتحوّل لطرفٍ ثالثٍ ينغمسُ لداخل الحياة إلى أن يتخبّطَ بالكاملِ،

أنتَ تعلم بأنّني أجدها من اللامنطقيّ وغير المُستحب أن تُدخلَ طرفاً آخراً بيننا،

يكفي طرفان مُعاديان مُتفقان، عنيدان خاضعان، وصلبان ليّنان، مُحبّان.

يكفي كوننا نحنُ،

انحصار تفكيري يتشعّب كثيراً، لكنني في حدودِ تفكيري المُعارض، داخل كوكب مُنصّد عن الدُنيا بأربعةِ جُدران مُحكمّة.

(١)

التهمني التغييرُ وكأنّهُ إعصارٌ ثائر

مُنذُ خمس سنوات، تفوهتُ بأمر التغيير، بأنه يَمس أغلبَ البشرِ.. ولن يمسني، لن يؤثرَ بي ولو لدرجة..

فإنني كما خُلقت سأبقى وسأكتفي، أكرهُ التغيير ولا أُطيقه.. انتظرتُ بعدها عدة شهور وسنوات مُتعاقبة

حتى بدأتُ بمحطةٍ جديدةٍ في عُمري!

تحولت حياتي لملعبِ كُرة قدم! جُمهورٌ يصرخُ كأفكاري تماماً.. ولاعبٌ يستولي على كرةٍ مُستديرة

ليس فيها ما يَنفع ولا يَضر.. ككلماتي المُبهمة..

بدأت اهتماماتي لتفاصيلٍ مَنبوذة تتحول تدريجياً لتنقَلبَ للحضيض، أتعلقُ من جانبٍ واحد في حياتي،

مُمتلكاتي، أفكاري وأيامي..

فما زلتُ أشعرُ بأنّني سأتقدمُ على التغيراتِ تلك..

لحظة حاسمة في حياتي

أُقاتلُ نفسي، أسألُها بعضِ الأسئلةِ، عديمة الأجوبة..

منذُ خمس سنواتٍ مضت

ولا أدري إن كنتُ قد تغيرتُ بالفعل، أم أنه مُجرد وهم! أغوصُ في بحرِ الخيالِ.. فأجعلُ من أفكاري فضاءً، أعيشُ به وحدي بين كواكبٍ وشُهبٍ

وبين نجومٍ ومجراتٍ.. حتى أتقنتُ معنى العُزلة الصاخبة ...!

(٢)

اصلاحاتٌ.. تغيرات باطِنيّة

أسألتَ نفسكَ ليوم! أيُمكنكَ الهُروب من نفسك؟

سؤالٌ يجمعُ تخبطات الواقع في ثوانٍ، إنّ حاولتَ الهُروب، فستلتقي بنفسك في نهايةِ المطافِ،

سرير ينتظركَ وأغطية تُحاولُ ضمّك، ضوء صغيرٌ مُشع، شموعٌ تستجمعُ نفسها وتلتصق بأُخرى، كأنّها تُعانق أُخراها، لتنتبذَ الخوف وتُسلّم نفسها طوعاً، تُشعِلها حتّى تستعدُ لتركِ ما بيدك، وتستلقي على سريركَ بعد يومٍ حافل من الأكوامِ المُكومة على كتفيك البريئتين ..

أغلق عيناكَ وانظر بداخلك،

فكّر بذهنكَ، تأمّل حالك،

اصنع لحظتك، اشعر بها، وتكلّم معها..

حانَ وقت إصلاحاتكَ الداخليّة.

(٣)

إنّني من القَرنِ السَّابع عشر

أجثو وكأنّني رَجل يُحاولُ إبهارَ محبوبتهِ بطلبِ يدها

أو كَطفلٍ يُحاول إمساكَ ظِله.. فيفشلُ تارات عدّة

إنّني من القَرنِ السَّابع عشر

ولم تَصل بي مرحلة الشُّعور الفائض بداخلي مُطلقاً،

لم تَصل بي أن أشعرَ بالبكاءِ المُرافقِ للغثيانِ

لم تَصل بي أبداً..

إلا أنّ اليُومَ مُختلفٌ

فكأنّهُ هَجمَ عليّ هجمة المُفترس على الفَريسةِ

ضربني ضربةً قَضَت عليّ بالكاملِ

حتى حلّ الظلامُ على بصري

خلع كَتفي المُمزق مُنذ سنوات.. وأعادَ لي مأساة ذاك القَرن

حتّى أنَّ خلايا دِماغي تَمكنت من الرَّقصِ بحُريةٍ مِن دُونِ مُوسيقا

لا أُريدُ الحديث عن كَدماتي ...

أُريدُ حلاً لمُشكلةِ المَشاعر المُكتظة

إنّني من القَرنِ السَّابع عشر

جرّبتُ كُل ما يقولونَ عنهُ البَشر

من أعشابٍ تريحُ القَلب ودواء يشفي الكدمات

ومع ذلك أشعر بأنّني أتحولُ لجثةٍ.. وما في اليدِ حيلة

ولكن لم أُخاطر للانتحار

لا زلتُ أنتظر... وما أصعبَ الانتظار!

إنّني من القَرنِ السَّابع عشر

ولا زِلتُ كَما أنا

رأسٌ مشوشٌ

أفكارٌ غريبةٌ، ليست لها مَنفذ

خلايا رأسي تبتعدُ عن دِماغي آلاف الكيلومترات

أصبحتُ لا أُطاق

أصبحتُ أنا والجِدار سيّان

تَغلّبت مَشاعري، أفكاري، وحتى كَدماتي عليَّ بالكاملِ

ومع ذلك تُمكنتُ من الكِفاح مع ذاتي

تركتُ الحَديثَ بما أنّ نفسي توقفت عن الاستيعابِ والفهم..

كأنّني أتبّع الطَّريقة السَلميّة في الحرب

والآن.. ها أنا أتقمّصُ دورَ الجُندي المُسَّلح

فتجرأتُ واستخدمتُ المُسلحة

إنَّ الجَسدَ بداخلهِ عَقل واحد! وقلب وحيد

فاكتشفتُ حديثاً

في نهايةِ الأمرِ

إن تَساوت الأفكار مع المَشاعر

تنبعثُ الرِوحَ لأبعدَ المَسافات

كشظية انفجرت

وباعدت بين الأطرافِ
إلى أن يَنتهي بها المَنفذ
يَضعفُ الجَسدُ.. فيَبرد
إلى أن يتحولَ إلى اللَّونِ البَنفسجي المُزرق
ليُصبحَ جَسداً خالياً من العِظامِ، ومن اللَّحمِ أيضاً
كحال المُعذب..
قبل أن يحينَ أوانه تماماً..

(٤)

دوّنتُ جميع تحركاتك

تُعجبُني رؤياكَ الحقيقيّة،
بعيدة عن تركِ البَصماتِ،
وعن تعبيرِ الآراءِ،
مِن دونِ أن تُخلّفَ آثاراً حولك،
بعيدٌ عن الشكوكِ
وممسوحٌ من أمامِ عيون الشهودِ
ارحل بعيداً،
واترُك أمر الساحةِ والجُمهور لي..
فإنّني أثق برصانةِ رأيي،
وكِفاية أفكاري..

لن أنتظِرَ خبرتكَ ولا فِطنَتك
في جعل الأُمورِ على أفضلِ حالٍ..

(٥)

الجميع مُدرّك، لكنّهُ يدّعي فن الجهل

يُمكنُ لنصوصٍ أن تقلبَ الموازين،
ويُمكنُ لمُصطلحاتٍ أن تُغيّرَ مجرى الحديثِ بالكاملِ،
ولمفرداتٍ أن تزيدَ ثقة النَّص بذاتهِ،
نسعى لنكتبَ كُل ما بداخلنا،
ذاتَ معنًى قريب وبهيج،
نسُطّر أحزاناً، ونُبدلهُ بغبطةٍ،
نُقرّبُ الفُؤادَ أُنساً، ونزيدهُ أُلفةً وحناناً،
ونُقلّبهُ على أبعادهِ تأكيداً وتوثيقاً..
ثمّةَ أمراً مُستدعاً للنقاش،
لماذا ننقلُ نصاً من غيرِ معرفة اسم كاتبه؟
فهو الذي نخرَ الأرضَ حُزناً ليُعبّر عمّا في جُعبتيهِ من ألمٍ
وهو ذاته الذي يتخيّلُ نفسهُ بينَ النُجومِ ليكتبَ ما يشعُر به من فرحٍ..
إن أسوءَ ما قد يُمرُ على كاتبٍ هذا النوعَ من العذابِ،
أهُناك دولة شعبها كُله مُثقف، واعٍ، يعرفُ ما ينطقُ؟
إن كانَت موجودة فإنّني أُودُ الانتماء لها..

لا أفقه شيء في هذا العالم الغريب، ولا أُريد الانخراط به..
كأنّني مُجبرة على تحَسُسِ خُطواتي، وتوثيقُ كُلِّ ما أفعل حولي،
لأنّني أخشى عليهم السَّرقة،
ومع ذلك يتم اختلاسها بغباءٍ مُستفحل،
الجميعُ مُدركٌ لذلك،
وهؤلاء الفئة أعلم وأدرى بما تفعل،
لكن إنَّ مَن يمتلكُ عقلاً، ليس شرطاً عليهِ استخدامُه،
هكذا دَوّن في قوانينهِ اللا منطقيّة..

(٦)

مُنعطفات تُسيّركَ بإرادتها

بالرغمِ مِن خُدوشِك الدَّاخليّة
لا زلتَ على استعدادٍ لتتلقى مِن الطعناتِ ما تستطِع
لا زلتَ تدورُ بين شَوارع لا تعلمُ نهايتها
ولا تعلمُ إن كُنتَ ستروي لها أخطائِك ويَومياتك
ستَجدُ بعد بحثٍ أنَّ لكُل طَريق مَنفذ..
يأخذكَ لآفاق السَّماءِ
لتتركُ عُزلتُكَ قليلاً
غَرابتكَ..
وقلبك الذي شَبع من السقمِ

*نهارٌ لا يبزغ،

مرضٌ يتفاقمُ ألمه

وشوارع ساكنة في جَوفِ الليلِ

تُبعدكَ عن تعرجاتِ أفكاركَ المُهلكة،

وعن تَفرعاتِ رأسك الهامدة

(٧)

عالِقٌ بين سبعِ خُطوات

كُنتُ ألتقطُ أنفاسي سبعٌ وثلاثون مرة قبل أن أخطو لطريقٍ كنّا فيه سوياً، أعودُ سَبعُ خطوات للخلف، وأقدمُ عليها بحركةٍ بطيئةٍ جداً، لأتذكرَ نفسي حينها كيفَ ومع مَن كُنت، لأتذكرَ بأنَّ الصُورَ التي التقطناها سويّاً ما عادتْ تُفيدُ رأسي المِعوج الآن، ولا أفكاري القديمة، ولا حتى فُؤادي المُكَسَّر، أعترفُ بأنّني لا أخطو ذلك المكان إلا وأنا أرتدي الملابس ذاتها التي حَملتْ أقسى ذكرياتي، أشعرُ بتلكَ المشاعر، و كَأنني أقدمتُ عليها البارحة، أتقدمُ سبعُ خطوات للأمام، وأمشيها بسرعةِ البرقِ، لأنّني لم أعتد على البقاءِ مع شخصٍ لهذا الحد، فإما أن يَخذلني ويمشي، أو إما أن يتركَ يدي مُفرغة من أصابعِ اليد الأُخرى.. لكن لم أعتد أبداً أن يرحلَ أحداً للأبد وأنا على قيدِ الحياة أَتألم.. لطالما كُنتُ أُدون عنّك بصيغةِ الحاضر، أشتِمك، وتُصغي إليَّ، تقرأ كلماتي بصمتٍ عارم، لكنني الآن لا يُمكنني الكتابة عنّك بصيغةِ الماضي، لن تجرؤ أناملي على فِعلها، ولا حتّى دماغي بالتفكيرِ به.. سأكتبُ عنّك بصيغةِ المبني للمجهول، لأُخفف عن وطأةِ من يقرأ، ولأزيد حُقنةَ الألم في كتاباتي البائسة!

(٨)

انعدمت رغبتي في صميمِ الأشياء حولي

مُنطفِئة..

وجعٌ ينتبذُ أطرافاً من جسدي،

جروحٌ بدأت بعمليّةِ الصَّدع الخاصة بها،

رياحٌ وكأنّها لهبٌ مُشتعل ينصّبُ على فؤادي،

لماذا لا يشعرونَ بِنا؟

هل نحنُ جُدران مُنصبّة بالإسمنتِ؟

حِجارةٌ من الصعبِ تحطيمها؟

زجاجٌ من أفخرِ النوعيّاتِ حتّى يصعبَ كسره؟

أصبحنا نعتادُ أصغرَ الأشياءِ

كانت مُشكلتنا بالنَّقصِ، أصبحنا نعتادهُ ونتعايشُ معه

اعتدنا أُموراً كثيرة، إلى أن جفّت أعيننا،

بل تعفّنت الرطوبة داخلنا، احتلنا احتلالاً كاملاً، وقضى علينا بطُغيانه،

استوطن باطننا، لكن..

لا بأس..

لدينا ينابيعٌ من المعرفةِ،

نُقّدرُ المشاعر،

نقّدرُ الوقت، المتاعب،

ولا زلنا في دوّامةٍ..
ولن نخرجَ منها أبداً..

رُبما ننهزمُ بأصغرِ هذه التفاصيل،
نرمي أنفسنا في مُنتصفِ الطَّريقِ بدلاً من حضن يحوي أفئدتنا
نُداوي أنفسنا بأنفسِنا، لا حاجة لأحد،
فقد اعتدنا على الأمرِ ذاته..

مُنطفئة..
وجعٌ تخلّل ليفرضَ نفسه في أحشائي،
التفافٌ حَلزوني، تغطيةٌ سُلحفاتيّة، بُكاء فتاة في الواحدِ والعشرين من عُمرِها
وجهٌ أصفر عابس، تبدو عليه علامات المرضِ
اختزالٌ، اختناقٌ، نقصٌ، وانكسارٌ..

لا رغبةَ لي بإتمامِ النَّص!

(٩)

اللومُ ليس من طبعي، لكنّ النَّص أجبرني

لا تلومني إن حدّثتكَ في الرابعةِ فجراً، أشتكي لكَ وجعاً قد حلّ في باطني، أشتكي جُوعاً قد أصابَ معدتي، أو رُبما أُحدّثُك عن فيروسٍ هاجم

الكوكب الخامس في مجموعتنا الشَّمسية بشكلٍ ليس بالطبيعيّ كَحالتي المُعقدة!

سئمتُ من تصرفي البليد ذاك، أصابتني حالة هستيريّة صعبة، أحِسُ بأنَّ أحشائي تَهضِم بعضها، وأن عيناي لا تتوقفان عن تَقوسِ طرفها الأول على الآخرِ، أشعرُ بإحساسٍ غريب يتداخل عبر جِلدي، يتزحزحُ رُويداً رُويداً لصفاء ذِهني، فيُشغله بمئةِ فِكرة وفِكرة.

تمالكتُ ذاتي إلى أن نفدَ صبري، حاولتُ الهُروب من فكري لكنّني فشلتُ تارة وأُخرى. حاولتُ فرضَ بعض التَّسهيلات عليها، لرُبما سهلّتْ عليّ قليلاً، لكنها زادتها سُوءاً. سئمتُ من تقوسِ ظهري عند كتابة نص نهايته ليستْ ظاهرة، سئمتُ من وجعٍ طرقَ القلب ولم يخرج.

لا تلومني إن حدّثتُك عن مَن هم أقرب إليّ منك، لا تلومني إن كتبتُ نصاً، كل مساحة بين حروفي مَعنيّة بك!

يتظاهرونَ بأنّهم يعلمون ما هو أصغر من الذرةِ، ولكنهم لا يعلمونَ سوى قليل ظاهر، فيعتقدونَ أنّه طاهرٌ أي بعيداً عن الذلِّ والتّعبِ! يعتقدونَ بأنَّ كل ما في الأمرِ نُقطة بيضاء على سَفحٍ أسود .. ويَزول بعد عدةِ سنوات..

لا تلومني إن تحدّث الناس عنّك بسوءٍ! بأنّك عديمُ الفهمِ، صفرُ الإحساسِ، صعبُ التَّأقلُمِ، مُستحيل المنالِ، فقير المشاعرِ، وجاهض للنفسِ! فقد تعالى عليّ صبري إلى أن فقدته!

إنّها ليستْ بهذه الصعوبة من الألمِ، ولا بهذهِ السهولة من النسيانِ.. أصعب ما في الأمر كيف لِشخص أن يكتبَ نصاً من غيرِ التَّعمق فيهِ من مطلعه، يكتبُ مُقتطفات ليُكمل وهمه برسمِ ما هو أعمق من العُمق نفسه

لا تلومني إن حدّثتك في الرابعةِ فجراً، أشتكي لك غباءً قد حَلّ لدماغي، أشتكي سَقماً قد تمَسّك بفُؤادي، لا تلومني أبداً، فالتوقيت الليليّ سبب حَماقتي المُعتادة.

(١٠)

إنّ العقولَ إذا لم تُبنى فإنها بالكادِ ستُدفن

يُمكنُ لكُل امرئ منّا أن يُلامسَ أفكارَ غيرِهِ إن تمكّن من تغييرِ مُعتقداته، تبعاً للمنطقِ، وما هو مَنشودٌ عليه المنطق، أفكارٌ تتميّزُ بأُحاديتها، بانفرادها، بانجذابِ مُصطلحاتها، بفِهمها، وتفهُمِها، بكُل ما هو يسيرٍ لتقديمها. لكُلِ نسبةٍ من حديثِنا، أربعون بالمئةِ لا يُستحسنُ بنا نُطقها لأننا لا نُتقنُ رسمَ الحُروفِ، وواحدٍ بالمئةِ نقومُ بترتيبِ حُروف ليست كالمُعتاد، أخطاءٌ وزلاتٌ في كُلِّ مكان! وتسعٌ وخمسون بالمئةِ واقعةٌ بين عدمِ الفهمِ والفهم المغلوط.

يُمكنُ لكُلّ امرئ منّا إن حاولَ جاهداً في كيفيةِ الفهم والتَّفهم، أن يسيرَ كما يُريدُ قلبه، حُبٌ يَطرقُ الأبوابَ، قلوبٌ تجتمع، وعُقولٌ تتناوبُ بالتفكيرِ، تُفسحُ مجالاً للطرفِ الأوّل للتفكيرِ والتَّحدّث، ثم تُوشك على الانتهاءِ.

كُلٌ منّا على حسبِ مُنطلقه، وما هو سائر هو المطلوب والجواب النهائيّ، كما اعتدنا على حلِّ مسألة رياضيّة، وبإخراجنا لزفيرٍ حُبس لثوانٍ داخلنا حتى نعلمُ ما هو الجواب المعلوم بدلاً من تغطيتهِ بغطاءٍ تجعله مجهولاً فتجهله .

إنّ العقولَ إذا لم تُبنى فإنها بالكادِ ستُدفن، اقترب مما يُشعركَ أنّك على حبلٍ وقد أوشكتَ على الصعودِ بعلمك، واجه العُقول وابني جسراً يترافقُ ويتناسبُ مع أفكارك.

(١١)

تجاوزٌ بصعوبةٍ بالغة

من بعدِ سنة من الإنجازِ المُكلّف

من الوعودِ المُستنجدة،

عهودٌ وعقودٌ مُنمقة،

أُعاودُ زحفاً للماضي..

تخلّيتُ عن كُلِّ ما يُسبب لي ضجيجاً في الحضيضِ..

تخلّيتُ عن ذكرياتٍ مُورقة،

أوراقٌ مُمزقة،

صُحفٌ مُبتلّة،

تواريخٌ مُخلّدة،

وعَدتُ نفسي بعدمِ التَّراجع والعَودة

حتى جاء اليوم الذي وَضعتني كومة مِن الغُبار

بآلة الزّمنِ.. لتُعيدني..

فما وجدتُ إلا وقد أصابتني نَوبة الماضي

عُدتُ له.. للمقعد الخشبي بجانبِ النافذةِ الصَّماءِ،

للمقطع من الأغنيةِ الحَمقاءِ،

وصوتُ من حولي عند استكماله لحن الأُغنية الجَوفاءِ،

تَعود بي عند النافذة عينها التَّي تركتُ كُل ما وَرثته من الذكرياتِ

ربما حنّ قلبي للعُقودِ السَّابقة..

لجلساتِ اللَّيل المُنعزلة..
كلامي مع الحَائط ليلاً، والوُعود المَكذوبة..

(١٢)

جسدٌ كُتبَ عليه الشُعور بالآتي:

تُلهمني مُقتطفات كُتب
شِعر ليس مُكتمل،
نص غير مُتوازٍ،
فصل ليس مُتكامل،
برنامج غير واضح..
وذكريات لا يَجدر بها الخُروج في هذه الأثناءِ

يُلهمني قلباً
تأثرَ بمآسي الحياة،
مُجادلاً لأمرِ الواقعِ،
مُسالمٌ لما يضخهُ،
مُدركٌ لما يُديرهُ،
ووفيقٌ في السّراء والضراء..

تُقذفُني ناراً

تَشردت على أرصفةِ البُيوت،
تَأثرت بشُعلةٍ أو ما شابه،
تملّكت أرواحًا ليس عليها احتوائها،
غَطت عليها برمادٍ والتَّفت عبر بعضها البعض،
ليحضروا الجنازة وحدهم..

يُميتني خيالاً،
يستلهمُني القدر،
يستوقفني المَطر،
يستدعيني موج البَحر،
تتقلبُ الأزمان لتَحتويني بشكلٍ مَرصوص
لتَعود بي من نقطةِ الصفر إلى أن تلتَهمني الطُرق

تختَرقني المَصائب
تترك آثاراً بجحمِ المَسافات العابرة،
والذكرياتُ التائهة،
يستهويني الجُنون والطُرقات الضَيّقة،
مشاعري السَّطحية،
وصوتي المَسلوب..
يُنقذني حبلاً
رُمي باتجاهي من غيرِ رقيب،

تناولتُه من غيرِ حسيب،

أودعتهُ لغيري، ليَستسقيني مَوقفاً،

أتجاوزهُ بامتيازٍ، وأعبرهُ عُبوراً بسلامِ..

(١٣)

قلبٌ وجسدٌ لا يعرفُ الرَّحيل

لن أبتعدَ عنك، لن أجعلكَ تشكو بُعداً مؤلماً، سأجعلُ ما بيننا سبيل للقُرب، طريقٌ قصيرٌ يحولُ بيننا، سأبقى لك سنداً، رُوحاً وقلباً لا يعرفُ الرحيل، يُلغي أمرَ الزوال نهائياً، ولأكونَ لفؤادك نبضهُ الدائم، ضُم قلبك وقُل لي ما تشعر، ساكناً هادئاً أم مُضطرب لا يعرفُ النوم؟

ضُم إليّ روحك وقُل لي ما يُؤلمك، فإنني هُنا لأسمعَ أنينها..

اجعل لهذه الحُروف رُوحاً، تلجأ إليّها في حالِ ضَعفك، تُعانقكَ عِناقاً لتُرجع ما قد كسرهُ الحنين، تُركّب بعضك، تستدعي نبضك لعشاءٍ لإعادةِ ترميمه، تُساندك، تحضنُ كفك لتقولَ لك بأنّ هُناك مَن يقفُ بجانبك ولو كُنت في أوجِ حُزنك، سند وكَتف لك، يُعيدُ ترتيبَ كلماتك بعد عامٍ من البعثرةِ، يُعيدُ نبضات فؤادك لتسيرَ بالنحوِ الطبيعيّ بعد خفقاتٍ مُتتالية من الهذيانِ السَّريع، اجعل لهذهِ الحُروف رُوحاً، تجعل لروحك منفذاً لرُوحي إلى أن يحينَ موعد اللقاء..

(١٤)

قلمٌ استولى عليهِ الشُجونِ

تمكنتْ عيناي من ذرفِ الدُموعِ

بسببِ وطنٍ كاد عليهِ الرُكودِ

في ليلةٍ مليئة بالنجومِ
وغرفةٌ تُغطيها الشـُّموع
وقلبٌ مُمتلئٌ بالهُمومِ
فكأنّ فيهِ بحجمِ شعرة من السُّمومِ
ورأسٌ يُقلّب زمانه بالعقودِ
وأفكاره بالنهوضِ
كَغابةٍ تدورُ بها النُمور
ووجهةٌ أُخرى تَطل منها الصقور
قلمي لا يكتبُ سِوى عن الغُمومِ
ونظرةٌ شبة نظرة تسبُ الوجود
بسببِ ما خلّفتهُ من كُسورِ
وتحديدُ مُسببات الضُروبِ
فلم أكتفي من الضُغوطِ
فعاودتُ البدء تارة أُخرى منذُ الشُّروقِ
وأغلقتُ خوارجَ العُصورِ
شاغلٌ سُويعاتي بإيجادِ الحُلولِ
فأقدمتُ بالعُبورِ
ومواجهةُ المَذمومِ
حتى تغلبتُ على العُنقودِ
ودافعتُ عن الذُلولِ

وبدأتُ بالنُفورِ
حتى تَعرضتُ للسُّقوطِ
استسلمتُ للأمرِ المَكتوب
وأصبحتُ بالوضعِ المَمدود
بعيدٌ عن الدُروعِ
وبعيدٌ عن العُيونِ
باردٌ، تارك ما هو مَذكور
شاعرٌ بالخُمولِ
مُدركٌ للقُنوطِ
حتى أخرجوني من الكُهوفِ
ملطخٌ بدمائي المَنثورِ
واستشهدتُ بكلامي المَزروع
بعينيّ كلّ فتًى مَجروح

(١٥)

إنّهُ أنت !

التمس لي عشرونَ عُذر حين آتي إليكَ مُحمّلٌ ببعضِ القطعِ التَّالفة، والبعض الآخر يِريد التغيير، التمس لي عُذراً بأنّي قد صاحبتُ آلاف القصصِ والوقائع، تخطيتُ أميالاً لأصلَ إلك، أسعى دوماً للتغيير، أسعى ولو للِحظة، لأبحثَ فيها عن نفسي، إن رفضتْ، ألجأُ لطُرقٍ أُخرى، المهمُ أنني في حدودِ الأمانِ مع نفسي .

أُقاتِلُ يوميّاً آلاف التناقضات بداخلي لأتمكّنَ من الاستمرارِ، أسعى دوماً لمُناجاةِ نفسي، لاحتضانَ دماغي، واحتواء جسدي. أقوم على جمعِ أرقامٍ مع أنني لا أُحبُ الرياضيات. ومُعادلات تُجبرني على استخدامِ بعض نظريات الفيزياء، تشكيلات حُروف تقفّ في مكانها، تستجمعُ ذاتها، تأخذُ نفساً عميقاً حتّى يتمّ وضعِ بعض الحركاتِ عليها، فألجئُ للغةِ العربيّة، والتّي كانت من أشدّ أعدائي أيام الدِّراسة. أمرُّ بكثيرٍ من الاضطرابات بداخلي، لكنني أثقُ بأنّني سأخرجُ منها حيّاً وفارغاً مِن كُل شيء حوّلني يوماً لوحشٍ مُفترس.

قدّر تفاصيلُكَ الصغيرة الخاصةِ بك، قدّر أسرارَكَ التّي تشعرُ بالبردِ دوماً، فتُغطيها بمُجرّدِ ما لمْ تُخبر بها أحداً. قدّر كُل شيء بداخلك، كُل ما لا يُمكنكَ الحديثَ عنه لمخلوقٌ من الخَلق .

لا أحد لديه الحقّ في معرفةِ مَن أنت ومن تكون، ولا حتّى ما يدورُ بداخلك، ولا طريقة تفكيرك، ولا أبسط المعلومات عنّك! إنها شخصيتُكَ، إنهُ أنت!

(١٦)

ترحال بعد طولِ استقرار

أُفكر بالرَّحيلِ، بتركِ ما يلزمني خلفي

والسيرُ قُدماً بالدهسِ على أوجاعي..

أُفكرُ بالذهابِ بعيداً..

إلى أن يُعيدني مَوقفاً أعودُ به أدراجي ..

أُفكرُ بالرحيلِ، بربطِ كُلُّ ما أُريدهُ على يدِ كُرسيّ مُتحرك
على قمةِ جبل شديد الانحدارِ..
سئمتُ من ضياعي بين الحين والآخر
رافضة تَقُّبل السَّبب..
أُفكرُ بالاختفاءِ، بنشبِ أصغر التَّفاصيل ورميها بعيداً عن حواسي..
لعلَّ عيناي تتوقفان عن عِشقِ دقائق الموضوع المسرود،

أفكرُ بالرَّحيلِ، باختراعِ جناحين فأُحلّقُ عالياً عن أسوءِ الأُمور في المَعمورةِ..
ربما أَخرج لكم مليئةً بشظايا الغُيومِ..
باللّونِ الأبيض!
وآثار السُحب بقيت على جسدي من شدةِ الارتفاعِ..

أُفكرُ بالرَّحيلِ، أُجهزُ لنفسي مَسكناً دافئاً لعلني أتخلصُ من بُرودتي الدَّائمة،
فأُفكرُ بالذَّوبانِ، درجة الحرارة مُلائمة جداً لتبخري..
اكتفيتُ التَصنع، التَّجمد والثَّبات رُغم ضَعفي،
إنّني مُبدع بالتجاهلِ.. وأُحاولُ تناسي صُعوبة الأمر!

(١٧)

مُقاساة ومُكابدة

عانينا كثيراً رُغم صبرنا

تملّكتنا أصعبَ الأُمور رُغم ضَعفنا

مللنا من صَعيدٍ تَجاهَلَنا

طلقاتٌ تنزِعُ جدارَ قُلوبنا..

نصرخُ عالياً رُغمَ عدم سماعنا

تجاويفٌ تغلّبت قسراً على حالنا

إلى أن فرضت نفسها في حصارٍ رُغماً عنّا..

(١٨)

وَكأَنّهُ لَم يبقَ سوى قلبي ليكسره..

هُناكَ مئتان وستّة عظمة

قابلةٌ للكسرِ في جسدي

وستمئة وتسعٌ وثلاثين عضلة

قابلة للطعنِ في بدني..

قَاتلتُ كَثيراً،

حَاربتُ وَدافعت

لم تُسجّل في حياتي موقف واحد

كُل الأشياء مُسجلّة في قائمةِ الإهمال

وكُل شيء مُعرّض للنسيانِ والفقد

فكأنّني على جَبلٍ

ارتفاعهُ آلاف المترات

والسعادة في كَهفٍ صَغير دَاكِن

ضَيقٌ لا محالة للتفكير بالتّحركِ

حَاوَلتُ كَثيراً

ولم أفلح بتاتاً..

(١٩)

تصيّرتْ أحوالي إلى أن نبذتُ العُنف في نُصوصي..

هل يُمكن لأحد أن يتغلبَ على غشاءِ قلبه فيَخلعهُ خلعةً لاذعة؟ أو أنّه يُمكن مُجاراة الأمر فيُقلّبُ قلبه كما تُشيرُ لهُ نبضاته.. ليُصبح عَديم الإحساسِ خلالَ ثوانٍ..

تصيّرتُ حتّى أصبحتُ أُلملمُ فُتاتي، فقد بَدَتْ جليّة، بَدَتْ وكأنّنا يُمكننا رؤيتها بين سطورِ نُصوصي، لم أتمكن من وضعِها في صندوقٍ والإغلاق عليها ببساطة، فيُمكنها التَّسرب بطريقةٍ سريعة..

تَعبتُ من أفكاري الهَشة، من نومي الزائد، وأحلامي السَّخيفة، تعبتُ من كُل شيءٍ حولي، لا أُود إظهار ضَعفي، لكن هناكَ درجة تَحمل لكُلٍ منّا، وصبري وَصلَ إلى الحَضيضِ..

أقولُ في نفسي مُفكرة، هل حقاً إن لم أستطع النَّوم.. فقد أُصبتُ بالأرقِ! هكذا كان دائماً جواب الناس لي! فَهُم لا يعلمون أن دماغي لا يتوقف عن إصدارِ التَّعليمات، وأُذناي لا تتوقفان عن سماعِ الضَّجيج.. تَمكنتُ من النومِ تارةً ولكنّني أفشلُ أُخرها ..

سئمتُ من نفسي وعادتها، عادتي الرُّوتينية تقتلني، فإنّني في كُل ليلةٍ أحتمي بِغطائي، ولا أنسى أن أضعَ وسادتين قُطنيتين فوق بعضهما البعض، أتمدد لأستريح بنَومي، لكن تبدأ حفلة راقصة في دماغي.. فأنسى مَوضوع النوم تماماً.

لا زالت حياتي بين الوضع الجيد والسيء، تُقسّمُ حياتي لأقسامٍ مُختلفة، لكن لديها القُدرة على الاندماجِ في قسمٍ واحد بلا استئذان، بعد سيطرة الثاني على الأولِ وإقناعه.. كَمن يُسيطرُ على بلدٍ ويستعمره رغماً عنه.. فيُقسمه آلاف الأقسام ويبدأ بالتوزيعِ العشوائي على هواه.. كَمن يلعبُ قِماراً، لكن ليس على نقودٍ بل على وطنٍ!

أحلامي سيئة.. سيئة جداً، تجتاحُني، تُسيطر عليَّ لتتمكن من فرضِ ما تُريد تلقائياً من غيرِ أسئلة ولا حتّى علامة سؤال واحدة! تَجعلني أتبّعُ ما تُريد لأعيش بسلامٍ، لكنّني هُنا، ومعي سُم لها..

حلمُتُ حُلماً من إنشائي، جعلتُ ذاتي تبحثُ عن نوعٍ من الأدويةِ المُحاربة للأحلام، لأجدَ نفسي قد تمتعتُ بالنومِ الذّي لطالما حلمتُ به، فيتوقفُ دماغي عن إصدارِ أية أوامر أو أي شيٍ تافه..

فلم أعلم أن هذا النوع من الأدويةِ يقضي على القلبِ نهائياً، فهي ليست مُنوماً على الإطلاقِ، بل حُلمي خدعني مُتفقاً مع دماغي، لأتحول من شخصٍ ينام على السريرِ موتة مؤقتة، إلى شخصٍ ينام للأبد في كفنٍ بلونِ سريره!

(٢٠)

كلماتي لا تُسعفني لإطلاقِ حرفاً ينحني حُباً لكِ

أُريدُكِ أن تعلمي بأنّي أُعاهِدكِ عهداً يليقُ بالحُبِّ،

عهداً يليقُ بقلبٍ تمكّن الهُيام منه،

وروحٌ كشفت حقيقة أنّكِ فِعليّة رُغم قسوة الشوقِ.
إنّكِ المنطقة الآمنة التي تروجها رُوحي للاقتراب،
فؤادٌ مُتيّمٌ بتفاصيلكِ،
مُقلَة تنتظرُ حُروفاً تُدوّي بها عِشقاً
إلى أن يتمكنَ النبض من الاستقرارِ
رُغماً عنه بعد عناءٍ من الاضطرابات.
يداي تُودان عِناقاً حتّى الأبدية،
فيداكِ تُبدعان فيه،
وكما أنّ نبضكِ يسيرُ بمدارٍ ليس مداره،
يضطربُ، يفقِدُ اتزانه،
يخفقُ بشدةٍ لا مُتناهيّة..

(٢١)

ملحمةٌ تنشبُ داخل أسطُري

أُحاولُ اللجوء للكِتابةِ وأنا في خضّمِ خوفي وحُزني،
فقلمي يُبدعُ بمُصطلحاتٍ شديدة الألمِ،
يمتلئ ورقي بفِقراتٍ من الغمِّ..
وأكوامٍ مِن الذعرِ..
ولا أعلمُ طريق للنجاةِ منه..
السّهر الطويل،

ساعات الليل المُتأخرة

تُشرفُ على مُعاناتي..

(٢٢)

لم أعد كما تُريدوني أنّ أكون

تركتُ المُهمَ المُبهَم من شظايا دماغي مُلقاة على أرضي،

هَجرتهُ وحُطمته،

قلمي الذي رافقني طوال تلكَ المُدة، غَدرني وفَرَغ حتى تَمَثَّل أمامي دور المُحتضِرِ

رفعتُ مُوسيقاي عالياً، للتخلي عن أيةِ أسباب،

عَوارض،

استبداد لرأي،

احتضار لفكرة، واضطهاد لموقف!

تركتُ ما يَشغل بالي، استحقرتُ أشخاصاً لم يُعادلوا حجم مِعدتي..

تركوني في مُنتصفِ الطريقِ حائراً، مُتكاسلاً عن فعلِ أي شيء..

استغرقَ تجاوز الأمر منّي سَنة وثلاثة أشهر! ولكنّني أعتبرهُ إنجازاً في التَّخلي عنهم..

(٢٣)

اتركي قصائدَ الشُعراءِ واكترثي لِما هو مكتوبٌ لأجلكِ

أتسمحينَ بأن أجعلَ من أوتارِ قلبكِ

مَعزوفة ناي كما أُحبها..
أو يُمكنني أن أُولفَ لكِ قصيدةً
أبدأُ بتلحينها كما تريدين
تُغنيكِ عن قصائدِ الشُعراء..
وعن رواياتِ القرنِ القديم
فاسمعي بحذرٍ وإنصاتٍ
عبارة خبأَتها شظايا اللَّيلِ المَكنونِ
تتمحورُ حول غِلافه
لتتوغلَ في الوصولِ
وفرض حُروفها على المَكتوب..
لغة منعت ذُبول الورودِ
فاسقي قلبكِ بالعنبرِ المَعشوقِ
وخبئي منه في القلبِ المَكسورِ
وأُصلحي ما بينكِ وبيني بالزهورِ

(٢٤)

تجتاحُ اللامنطقيّة سمائي

رأيتُ أُناساً مِن اللامنطقي في حياتي
نَظرتُ لهم نظرةَ استغراب!
تَقربتُ منهم، فَراودني شُعور الابتعادِ

لم أتمكن من الرَّحيلِ
فقد ألهَمتني نبضاتُ قلبي
بأنّ كُل شيء سيكونُ على ما يُرامِ
على قيدِ الطّبيعةِ..
فأجابني بِحركاتهِ لا بِكلماتهِ "مُلازمٌ للصمتِ"
وجدتُها أعنف من حُروفهِ
تَجرحُ قلباً مليئاً بالحياةِ
سحبتني كَدوامة
وأَخذت تقتلعُ ما حولها شيئاً فشيئاً
فَكأنّها كانت خُطة
تم تصميمها مُنذُ فترة وشيكة
وتم اجتياحها بامتيازِ!
حَطمَّت قُلوباً كانت تُبنى عليها الأحلامِ
وكُل من جَعل للأملِ هَيبة
قذفتهم بالوُهمِ
بالمزيدِ من الكُرهِ
واعتبرهم في عِداد المَوتِ!

(٢٥)

نُجومُ اللّيل تكتُبُ لكَ أسطراً

يُمكنك أن تؤلفَ قصيدة في سكونِ اللّيل الدّاكن

مُستلبة من تاريخك،

تُلحّنها من رُوحِ اللَّيلِ..

تَرسمُ ترانيمها بسبابتكَ

فكأنّ سماءَ الليلِ تُريك أحلامكَ بشكلٍ سابقِ لوقته

والنُجومُ تعزفها عزفاً مُتقناً، كما لو أنّها تعرفُ اللّحن مُسبقاً.. وتدندنُها في مَللها..

ترى القَمر يَبسم لكَ في كُلِّ مرة تَنتهي من كتابةِ سطر..

فكأنّ نفسك التّائهة

بنَت لها كُوخاً بين أسطرِ قَصيدتكَ

تجدها في سَماءِ اللَّيلِ مَلكاً رُبما أو فارساً

يَسير بكَ في أرجاءِ الكَوكبِ..

لتُدونَ ما رأتهُ أُم عَينكَ

وكأنكَ رأيتَ أشياءً باللّاوُجود

فاستيقظ وابدأ بالسّعيِ..

(٢٦)

ظاهِركَ يستغني عن باطنك

كَونُنا بشر، نعشقُ الخيانة،

قصصٌ نُبدلُ بين بدايتها وخاتمتها

لا نُفرّقُ بين قراءتنا،

نشعرُ بأنَ هُناك لُبس ما، لكن لا ندري..

فنظنُ أننَّا قَلبنا كَوننا رأساً على عقبِ،

كذلك الخيانة

مهما تقلّبت.. سيظهر ظاهركَ مُستغنياً عن داخلك..

ستتبينُ تفاصيلك يوماُ، بزمنٍ غدرك وقلبٍ تركك،

عينان احتقرتك، عقلٌ باعك ويدٌ صَفعتك..

حالة مأساويّة..

ولكن..

تحمّل ثَمن حيلُكَ!

(٢٧)

أُمورٌ مُنقضية تجذّرت ضمن حدود

الحادية عشر مساءً

ولا زلتُ أُعاني من صُداعٍ،

أكل رأسيَ بالكاملِ،

كأنهُ ينهشهُ بشراسةِ،

يقضي على نفسي بطريقةٍ مُهمّشة،

تدورُ بعض الأفكار في رأسي، أستذكرُ بعض الأحاديث، والحكايا، قِصص تسرقُ واقع الأمرِ من يديك، عاداتٌ استولت على نفسك، على يومك،

انطباعاتٌ فرضت نفسها حتّى تتجزأُ من ذاتك، وتُجزءُ حياتك، لا شيءَ أسوءُ من فقدانِ ما كانت أطرافُكَ تُغلغلُ إليهِ في السابق، إنّنا نتوقُ لمعرفةِ كافّة التفاصيل التَّي خلّفناها مُسبقاً.

بعد كُل تلك التشوهات التي صيّرت أحوالنا، أصبحتُ لا أتأثر بها، نفسي لم تعد تحتملُ كُل هذا الأسى، فقد اعتادَ عليه جسدي، وعشتُ على هذا الاعتياد..

كُل ما أذاني في السابق، له محلهُ الثابت في الماضي، حتّى وإن ثار.. لنّ يَحرِق، وإنّما تجمّد.. لنّ يؤذي أعصابي، كُل شيء في حُدودِ الأمان مع نفسي.

(٢٨)

اختفاء من الوسطِ

شيءٌ ما يُقيّدني..

يضعني في قَبوٍ عميق أخرس، صوتُ الهُدوء يسكنُ المكان، ويتخللُ بداخلي،

يضعني بين ألف حاجز وحاجز، يرميني ببحرٍ أفكاري ليُبحر بي خمسون ميّلاً، لأفقدَ نفسي فيه، فكّرتُ عشرين مرة، وكانت كُل تلك المرّات هي التي تمتصُ خلايا دماغي إلى أن تتقلّص، أفكاري ذاتها تصنعُ لي كوكباً خاصاً بي، جفّ دماغي بل تصحّر، وألقى عليّ كماّ هائلاً من الفراغِ. كُل ذلك يدورُ في دماغي لحظة جلوسي هُنا!

لكن..

"لا شيء من هذا يحدث..."

جسدي مُتحجرٌ هُنا! وأنا في ضياعٍ.. مع أفكاري..

تخبطاتٍ تملأ دماغي، أفكارٌ توقّفت في مكانِها، مُجمّدة، لا مكان لها في أيّة زاوية، اختارت البقاء في موضِعها، لم تُفكّر بشيء، سوى أن تُعيق المارين مِن خلفِها،

إلى أن وقفت كُل أفكاري حائرة، تنتظرُ أحداً ليُنظّمها، تعبت جداً من عشوائيها،

كُل ذلك.. يُصيبني بالجنون!

حالةٌ.. أُحاول ترميم ما تحطّم بداخلي، أبوابٌ مفتوحة ترفضُ أن تُغلق، كتابٌ يحوي خمسين مُصطلح، حرفٌ واحدٌ يختلفُ عمّا يسبقها، إنني أُقاوم.. بكُل ما يملكُ جسدي من تعب!

(٢٩)

أُريدُ إعادة الحياة لرُوحي!

بما سأصفُ هذهِ الحالة المروعة؟

كَل ما فيها مُنحَدِر، زاوية هبوطِها تكسرُ العظام، تُحطّم الأجسام،

تَخلقُ نُدوباً وفَجوات لتُصبحَ مُعلّقة في المُستقبلِ..

موقفٌ لا يُمكنُ وصفه،

كُرهٌ شديد أحملُ لمُواجهته،

انتقمتُ من الجُزءِ الأوّل، الطِّرفُ الأوّل، أيَّ كان.. فقد انتقمتُ إليّ منه،

استعدتُ حقّي المُنتهك بعد صُراخٍ دام ساعات،

وبعد ذرف أطنانٍ من الدموعِ، وتصلّبٌ في الفؤادِ..

لكنَّ اليوم، بقيَ الطَّرف الثاني، الجانب الآخر، وجعي القريب،

الذي أنهكَ روحي، بل جعلها في مأساةٍ حادّة جداً..

كيف سأتخلصُ من هذا الآن؟

وبلغَ من أمرها ما بلغ.. إنني أودُ الانتقام تدريجيّاً

حتّى لو كانت على عُمقِ مليون سنة من الغوصِ،

أُودُ إعادة الحياة لرُوحي، ولملمة شتات قلبي،

حتّى عِظامي أُود إصلاحها،

أودُ أن أبني نفسي من جديد، كأنّني أصنعُ لها درعاً صلباً..

(٣٠)

مُقاومة هذا الجنون ليس إلا جنوناً بحدِ ذاته..

أمرُ بحالةٍ لا أجد لها تشخيصاً، عقلٌ مُشوش، جسدٌ مُرتخٍ، يدٌ تُصارع أُختها لتصل للوحة المفاتيح، عيون شبه مُغلقة، كُل ذلك لا يهم، الترميمات التي نحُاوّل إصلاحها بداخلنا، ردّة الفعل التي نُريدها أن تعودَ لعفويتها، قلب.. نوّد منه لمَّ نفسه فيعودُ لتماسكه، ببدءِ عمليّة التنقية من الجروحِ، نحتاجُ لإعادةِ تشغيل للتَّخلص من كُل ما تمّ تدوينه بداخله، باختصارٍ، كُل ما مررنا به يُلهب الجُرح أكثر ممّا يُساعد على تطهيرهِ.

(٣١)

الجمادُ سئِم منّي أيضاً..

نسيتُ تماماً أن أخبرك..

بأنّ ما في العَقلِ يختلف مِئة وسبعون درجة عمّا في الفُؤادِ

أمّا العاشرة المُهملة فهي مُوافقة لما في القَلبِ

مُغطاة بغطاءٍ شفاف وهميّ، لا يُمكن لأحدٍ اجتياحها بنظراتهِ..

لا يجدر بي أن أُهديكَ نصائح
ليس لأنك أكبرَ منّي سِناً،
ولا لأنّ دماغك ابتلع آلاف المَواقف من حياتك الهزيلة..
أتعلمُ لماذا؟
لأنك ما زلتَ في الدَرك السُفلي من تفكيرك..
تَجاويف خَلاياك لا تكاد مُبعثرة مُتناثرة..

إنّها الساعة العاشرة مساءً
ولا زلتُ أُفكر في مصيرك..
أُحضِر بعض الأوراقِ، لأُخرج ما بنفسي من ضيقٍ
فيُمكنك أن تسلبَ هذهِ الطريقة أيضاً
واعتبارها نصيحة ثانية..

تحركتْ خَمسُ دقائق
ولا زلتُ أُقلّبُ القلم،
أُفكر بأهوالك!
أصبحتُ خالي الدماغِ..
مُجرد هواءٍ بداخله، وصمتٌ مُلازمٌ لفكري

إنّها العاشرة والنصف مساءً
انتهيتُ من التَّدوينِ

حتى شُلّت يدي
فقد تعلّمتُ السُرعةَ في الإنجازِ مُنذُ أيام الدراسةِ

إنّها الحادية عشرة مساءً
أُفكر في الأَوراقِ..
ورقة تلو ورقة حتى أَكملتُ العِشرين!
" -أهذا كُله في داخلك؟"
" -تماماً، ولكنه بشكلٍ مُختصر..."

إنّها الحادية عشرة وخَمس دقائق مساءً
أُفكر في حَرقهم..
سأسرق لَوحاً من الشُوكولا
وأستسحِب بنفسي خارجاً
رتبتُ الورق
وسقيتهم بمادةٍ تُسّرع عَملية الاحتراقِ

مرّت خَمس دقائق أُخرى
وما زلتُ أجلس بلهفٍ!
أتناولُ الشُوكولا
وأنتظرُ رماداً أسودَ اللونِ
مُتحوّل من ورقي..

ليتطايرَ بعيداً عن نظري

إنّها الساعة الحادية عَشرة ونصف
تنازلتُ عمّا فعلته، وعاودتُ الدُخول!
ولكن تُعتريني غرابة الشُعورِ..
أصبحتُ أعجميّ عن ذاتي
أو أنّني مَريض نفسي، أو مِن ذّوي الاحتياجات الخاصّة!

قُمتُ بتشغيلِ التِلفازِ..
جلستُ وحدي قليلاً
فانتابني إحساسٌ غريبٌ جداً!

أصبحتُ لا أكترثُ بتفاصيلِ يومي!
فقد سَئمتُ من مُشاهدةِ التلفاز
سَئمتُ من تشغيلِ هاتفي وإغلاقه في الثَّانية نفسها،

إنّها الساعة الثانية عشر صباحاً
كل ما بوسعي فِعله تحطيمُ أي شيء حولي
سَئمتُ من الضجرِ بصوتٍ لا يُسمع
سَئمتُ من مُجالسةِ نفسي

إنّها الساعة الثانية عشر ودقيقة صباحاً
لا زالت تلك الدقيقة تَفصل بيني وبين سريري
أُفكرُ بالذهابِ للنوم..
رُبما يحلُ الصباح سريعاً

إنّها الساعة الثانية عشر ودقيقة مساءً
وكأنّ الساعةَ لا تحتوي إلا على الرّقمان
الواحد والثانية عشر..
وصلتُ لمَرحلة الخَبل أو الجُنون
هل تَجمد الوقت؟
أم هذا مُستقبلي؟
هل حقاً لا زلتُ في نفسِ اليوم، الساعة؟

سئمت من نفسي
ومنك أيضاً..
أهديتك نصائح بما فيه كَلام فارغ..
ولكن قُلب عليّ الأمر
أصبح الخَبل يُرافقني في كلِّ خطوة
حتى قضى عليَّ بالكاملِ..

وأمر السَّاعة تلك..

اكشفت بأنّها سئمت منّي

فاستدركت حالتي

وامتثلت أمري..

(٣٢)

لا أحدَ يعلم كيف سنتجاوز تلك الأيام!

هاتفٌ مُغلقٌ..

تفكيرٌ مُشوشٌ..

أفكارٌ مُتضاربة ما بين الماضي والحاضر.. كلماتٌ ليس بإمكانها أن تشعرَ بكيانِ كاتبها، حالةٌ مزريةٌ نمر بها، قلبٌ مُتكئ على ماضٍ قديمٍ على حوافهِ غُبار، وبين شظاياهُ بيت عنكبوت صغير، شِباكه مزروعة في كُل مكان، كأنهُ أعمى، ينسى طريق بيته كُل يوم فيبني له بيتاً صغيراً يتخللهُ في ليلةٍ تأويهِ من البردِ، وتحميهِ من الحرِّ.

أرهقنَا دماغنا من التفكيرِ في جُلِّ الأشياء، إن كُنا في موقفٍ جاد وقلنا لدماغنا "فلنُفكر!" يبقى في صمتٍ لحينِ أن يتفاجئ من ردّة فعله! وإن كُنا في موقفٍ ساخرٍ، أو في صمتٍ نراهُ يبثُ الآلاف المُؤلفة من الأفكارِ حتّى أنّك لن تتمكن من جمعها كاملة! لكونها تتطايرُ بسرعة فائقة لتأتي مثيلتها حاملة في أحشائها فكرة ذات أيدٍ وأرجل، فتتخللُ لدماغك لثوانٍ ثم تتفاجئ برحيلها فجأة. هكذا يخدعنا دماغنا!

تستغرقُ وقتاً طويلاً لمنحِ الراحة لجسدك، بعد خمسين كوب قهوة تجرعتها لتقوم بتهدأتك، كأنّها حفلة صاخبة تجري في شراييناك،

ويستنشقُ أُناسها بخار القهوةِ الساخن الذي يتخللُ لداخل أحشائك، أما تِفلُها فهو غطاءٌ يحميهم من البركانِ الهائجِ القادم لها..

للُحيظاتٍ، نستغرقُ وقتاً لننسى كميّة التفاصيل التي عشناها مُسبقاً، حتّى وإن كانت كلمات تعوّدنا على قولها، مساحيق وضعناها على وجهنا، أقلام كُنا نُخصصها لكتابة تاريخ مُعيّن، دفاتر عوّدتنا على كتابةِ أدق التفاصيل لتحتضن أسطرها، صورٌ التقطناها ونحن على يقيّنٍ أننا سنُحبها حُبّاً في المستقبلِ، لأنّها وثّقت لنا تلك اللحظة. كُنا نعتقد بأنّها حياة مُختلفة عمّا نعيشه الآن، لكن لا أحد يعلم كيف سنتجاوز تلك الأيام!

(٣٣)

أنصت لأمواجِ البحر ليوم.. بدلاً مِن شكواك الدائم له

سماءٌ صافيةٌ

شمسٌ نُصفها ساطع

والنصفُ الآخر مُعتم عند الجهةِ المُعاكسة من كوكبنا

هُدوء البحرِ ينبعثُ بداخلي

تلقائياً من دونِ جدوى

يبعثُ أفكاري ويتداخل إلى أن يتخلل كلما اقتربت منّي أمواجه..

أُحاولُ إبعاد هاتفي اللّعين

حتّى لا يتناوبَ على التلفِ بين الحينِ والآخر..

ربما إن تركتُ دفتراً بجانبِ تموَّجات البحرِ لتعبأ من همومِ الناس..
من شكواهم وتذمرهم المُستمر..
أكتبُ هنا وكأنّ عقلي سيروي ما يودُ إخراجه حقاً..

مُصابٌ بلعنةِ الماضي
بنعمةِ الكتابة
تغّلبت الذكريات عليّ
ولا يُمكنني الخُروج منها
أشعر بأنّني لا أمتلكُ مُقويات لتُنسيني لماذا أنا على قيدِ الحياةِ؟
ولكنّني لا أمتلك تلك المهارة في الإقناعِ!

(٣٤)

كأنّهُ فَقدَ جُزءاً لا يتجزأ من عَقلٍ لا عَقلَ فيه

لم يستطع إفراغ ما بقَلبَهِ خَارِجاً
لم يستطع الْبَوح
لكيلا يتمادى شُعورَ الضعفِ بداخله..
يقومُ بالتفكيرِ اللَّامُتناهي في نِصْف اللَّيل
يُعاتِب نَفسَهُ أثناء وحدته
يَلوم نَفسهُ كَثيراً
يتظاهر بالبرودِ.. بعدمِ الاهتمام
ولكن سُرعان ما سطَعَ ضوء المجتمعِ عليه

أصبح رَماداً يتطايرُ مع نسمةِ هواء
يُداس عليهِ بأقدامِ البشر
وَكأنَهُ فَقدَ جُزءاً لا يتجزأ من عَقلٍ لا عَقلَ فيه
تتداخلُ الأفكار بداخلِ بعضها
لِتُكمِل أمراً لم يكن مُكتمل مُنذُ زمن بعيد

(٣٥)

بعينيكِ، أنا مُستوطن
سُلبت منّي حقوقي في الحياةِ
أتركُ آثار دمّي المَهدورِ
أنتعمُ بغبائي المَعهودِ
بالنظرِ إليكِ في الوقتِ المَحدودِ
وصوتكِ المَسموعِ
يتخللُ إلى الجذعِ المَكسورِ
فيُقامُ عليهِ الحرب.. من غيرِ إدراك..

بعينيكِ، أنا مُستوطن
يُنازعني الموت
أمشي من غيرِ إدراك
كالنائم في مسيرهِ
أبحثُ عن وطنٍ يستوطنني

فما وجدتُ إلّا عيناكِ

بعينيكِ، أنا موجود

أمطارٌ في أيلول

كلامكِ كالكافور

أغرقتني حماقتكِ بالذهول

ولم أَبذل أي مَجهود

بعينيكِ، أنا موجود

سلبتِ القلب المَذعور

في ليلةٍ كان الجو مَقرون

أركضُ لأتمكن من الوقوفِ

وأعود كالطفل المَجنون

في بحر عينيكِ، أنا مَنضود

أمواج مُكبّرة

مساراتٌ مُمزقة

حدود مُفتتة

حواجز مُضيت

ولا زلتُ في قلبكِ منبوذ

في بحر عينيكِ، أنا مَنضود

ليل يبدأ بالكلامِ
وأحاسيسٌ تُختم بالصمتِ
أشعار لا دخل لها في الوصالِ
وعينيكِ تمادتا عن الكتمانِ

لو أنني تُركتُ مُحَلقاً
ما منعني أحد من التَّسلقِ..
أصابني داءٌ لن يُدخلني
إلا سريراً أقضي فيهِ سقمي
أغرقتني عينيكِ ولم أزل..
جبانٌ من الأعماقِ!

(٣٦)

نصوص تستعرِضُ نفسها.. ظنّاً أنّها ستأخذُ دور البُطولةِ

تعودّت نفسي على الزرعِ والحصد
عند تركيب باطن الحروف وظاهرها
تعودّتُ على نسجِ أفكاري بذاتي
كأنّني عاودتُ للزراعةِ من جديد
فأُسقيها بلهفتي، حرقتي، وأيضاً ألمي!

أتسائل أين.. ومتى..
تحققت أُمنيتي في ثني طرف الكون على مَثيله؟
كيف حدث ذاك وأين؟
لكن ذكرى أُخرى تُجيبني بها..
أذكر نصاً.. أُستعرِضَ في بالي
وجاءَ إليّ بهيئةِ سفينة
عرضها يَغلبُ على طولها
وهما يحجبان دماغي..
وأن اللغة هي المنفذ الوحيد للتآني ..
كانت محور ضعفي والآن هي قوتي..
لا يجدرُ بي الحديث عن محاورِ الوَهنِ والشّدة
لكن من يُعاشر الحياة مثلي..
لن يُدرك مثيلاً لها،
تحتضني تارةً،
وتارةً أخرى تَسحبني للهلاك..

أذكر نصاً.. أُستعرِضَ في بالي
وجاءَ إليّ بهيئةِ قلادة
تلتف حول عُنقي عندَ نومي
فأُصبح عديم الحراكِ،

مُزرَقُ الجسد،
حائرُ الكلامِ،
وعديمُ النظرِ..
إلى أن تَخلصتْ مني بالكامل!
تماماً ككتابةِ نص على ورقٍ مُمزق،
كثير الشحب، أسود،
ولا يُفهَم من حروفهِ شيء..

(٣٧)

خُطوط عوجت رأسي

لم أستَطع رسم الخارطة بدقة
كان يَجدر بي رسم خُطوطها مُتعرجة مِعوجة..
فأي خَريطة إن تَساوت خُطوطها فهي صِفر مُكبر
شعرتُ بمَدى صُعوبتها.. كانت ولا زالت صعبة جداً
يدٌ ترجف خوفاً من الخطأ
وقلبٌ لا يُؤمن بها؛
لطالما كَرِه الحُدود..
لم تقم الجغرافيا سِوى بتصنيفنا بناءً على هَواها..
حتى اكتشفتُ أنّنا وُزِّعنا بناءً على قَرارها الذي لا يُرفض..
وأيقنتُ أنّني لا أُساوي شيئاً أمامها

بجلوسي هُنا وكتابتي بعض النُصوصِ عنها
فيُمكنني أن أنعت نفسي بالفاشلة
لعدم قُدرتي على رسمِ خَط يَفصل بين الدُولِ.

(٣٨)

ما شعرتُ به ليس بالسَّليمِ ولا حتّى بالسّيء

أخبارٌ تتمحور حولي ومن ثُم تَغوص بِداخلي، فتفَرض على نَفسي صَدمةً تأخُذني لأبعدِ الحُدودِ ولأطولِ العُصورِ، تَسبقني بعض الكلمات التَّي لا يُمكنني التَّعبير عنها، 'حاولتُ ولكن عَجزت عن المُحاولةِ.'

في المقابل، تَعثرتُ في دوامةٍ كادت أن تسحبَ جسدي بأكمله.. أدخلتني واقعاً وأشغلتني وهماً،

رفضتني خيالاً فاجتحتهُ أفكاراً، حتى لملمتُ ما بوسعي من الكلماتِ المُتراصة والمُكتظة بفرضِ الأمر على نفسي رُغماً عنّي وليس سُؤال يَنتظر جَواباً حكيماً، قراراً حَاسماً وسريعاً، يُمكنني الشَّتم ليتوضحَ على نفسي الغَيظ، ويُمكنني الصَّمت ليُقال، أنّها بلهاء لا تَعرف الكلام، ويُمكنني أيضاً التَّحدث والانفعال بصوتٍ لا يُمكنُ لأحد تَحمله فأكون في هذهِ اللَّحظة سبباً مُعارضاً للجميع.

(٣٩)

اختر أفضل رصاصاتكَ

تنفس آخر هوائكَ
صَوّب رأسكَ باتجاهي واعتدل،
قف قائماً، ولو كنتَ شجرة جذعها ثابت

وامسح دموعكَ المَمزوجة عبثاً

اختر أفضل رصاصاتكَ واختر أحسنها مسيراً للهدفِ

تمالك نفسكَ جيداً ولا تخف

سأُدخل الرصاصة في أحشاءِ رأسكَ

ليتلطخَ مكانك دماً..

لا تخف..

فالأمر يسير جداً

اختر أفضل رصاصاتكَ.. وأسهلها انطلاقاً..

(٤٠)

لا تُتعِب نفسك، فقد قررتُ الاكتفاء بذاتي

كُنتُ صلبةً، أعلمُ ذلك..

لكنّ ما حدثَ في اللَّيلةِ السابقة، لم يكن هيناً على روحينِ استدعيا ما يُفكّر به العالم إلى داخلِ المُخ الجَبهيّ.

كأنّني خلعتُ فؤادي، وأدخلتُهُ لملحمةً بالخطأ، فقد تمكّن منّي بالكامل،

حياتي ليست سهلة، ولا أساس لها من الرقّة، مليئةٌ بأطيافٍ مُختلفة من الخَلقِ، وضروبٌ من النَّوعِ السلس، المليء بالحُب، المُنافقُ من أمره، لا أعلم.. كيفَ يعيشُ بهذا القلب!

رُبما فقدتُ جزءاً من نفسي بعدها، لكنّني لم أفقد الجزء الآخر..

لا أُريدُ خسارة نفسي

كُل ما أردته هو العيش بطريقةٍ.. تُلائمُ ذاتي، لا أهتمُ بالباقي،

أتعلم؟

البارحة فقط

ندمتُ على كوني شخصاً اجتماعيّاً،

رُبما لو أنني احتفظتُ بنفسي وبعُزلتي

بمكاني السرِّي،

باسمي، بحياتي ..

ولم أعلم مَن هذهِ عن هذا، ولا هذا عن هؤلاء

لكانَ أفضل من ناحيتي..

بالتأكيدِ سأُصبحُ 'الغريبة' في بعض أذهان مُتخلّفة، لكنّي سأكونُ بأفضلِ حالٍ مع نفسي..

أحياناً أقولُ لها،

لماذا لا يُمكنني أن أُصدرَ شهادة وفاة لنفسي؟

يحزنُ البعض عليّ بدايةً،

ثم بدوري أنتقلُ إلى العيشِ لأيّ منطقة أُخرى،

لأوروبا مثلاً،

باسمٍ آخر،

وحياةٌ جديدة عليّ،

إن فعلتُها ليوم، اعلم أنّها لصالحي،

لذاتي التي تعِبت،

لحالي الذي سئِمَ من هؤلاء البشر..

ما أُريدهُ حقّاً هو البقاءَ بمُفردي، بعيداً عن هذا العالم،

لا رُوح تكملُني ولا أصدقاء يسعوا لتعاستي ليوم من الأيامِ بسببِ خطأ بسيط،

أُريدُ الاكتفاءَ بذاتي.

(٤١)

أسئلة جوابها مفقودٌ

لماذا نُفضّلُ الكتابة ونحنُ في أوجِ حُزننا؟ وكأننا لا نستطيعُ التعبير إلا ونحنُ في أسوءِ حالاتنا، كأننا نُقاسم الحُزن حُزنه، ونعيشُ معهُ لساعاتٍ أو رُبما لأيام..

لماذا لا نستدعي شعوراً جميلاً أحسسناه؟ نواعدهُ ليوم، لساعة من أصلِ الأربعِ وعشرين ساعة، نجلسُ سويّاً، نتبادل الحديث، أُفرغُ ما يقوله على ورقةٍ ناصعة البياض مُسطرّة، وكأنّها تعرف حُدودها..

لماذا لا نُجرّبُ أن نتبادلَ أطرافَ الحديثِ، أن تأخذَ حُزني.. وأن أستعير جُرحك؟ هل هذا مُقلقٌ لدرجة الشَّجن؟

دعنا نترك الورقة للقلم..

يكفي كومة الأسئلة تلك، إن تخلّلت في ذهني بعض الأجوبة سأُدونُها قبل هُروبها وإعلانِ ضعفها.

(٤٢)

الجنونُ مختوم على جبهته

كان يَحملُ ثقلاً كبيراً على عاتقه..

كان يَحملُ روحاً مُحملة بالاسودادِ
أراهُ ضعيفاً،
هازلاً،
يستبقُ كل ما هو مُبهم
يُداول فكرة بين أطراف دماغه
فيستدعي أُخرى لتُحوم بين الحُلم والواقع
حُلمٌ يُرافقه في كلِّ مكان يتزحزحُ إليه،
ينقل تفكيرهُ بالكاملِ لمُحيطه
فيجعلُ منه جسداً يعيشُ لوهلةٍ في خيالهِ الجامح
إن عاشَ فيهِ،
ألقى سكيناً في عُنقِ الواقعِ
واستدعى وهمهُ لكوبِ قهوة على شُرفةٍ واسعة
على نُخبة التجاهُلِ
إن عاشَ واقعاً،
تملّك خيالاً، وحزمه في زنزانةٍ لا هواءَ فيها ولا منفذ للانبثاق!
إن عاشَ كلاهما،
دخل في دوامةٍ، مركزها مُتحرك..
وأطرافها تَدورُ عكس عقارب الساعة،
لتجعل من صحيحِ الجسد، مجنون العقل
وتَقلبهُ،

وتُقلّبهُ،

وتُقبّله!

حتى يمتلك شهادةً رسمية بالجنونِ..

(٤٣)

إحساسٌ يحتّلنا تدريجياً

يعتريني شيئاً من الإحساسِ المُعوق، كأنّه نوع عميق ساري المَفعول في سائرِ جسدي، يبدأ بدماغي إلى أصغرِ أطرافي، تحملتُ ولكن لا جدوى، بل أثّر ذلك على جسدي من ناحية خَبيثة، جُلوسي وحدي هي إحدى مَحطات هلاكي المُسبق، واعتماد معنى الاكتئاب ثانياً، ما جعلتْ من نفسي عالِماً أكتشف المرحلة الثالثة بتفوّق، فلم أعتقد أبداً أنه يُمكن أن يصل إلى دركاتهِ السُفلى في أيةِ دقيقة حُزن.

(٤٤)

دفنّا الأوّل وألحقناهُ بالآخر

حينما دفنا ذكرياتنا، اعتمدنا على الحظِ الجيد

حينما عهدنا بأنّ لا نضعف ونُكرر خطيئاتنا

لم يعترينا شيئاً من الإحساسِ أياً كان ضربه

تمكنّا من وضعِ ألف سبب ومسبب،

ومئة عُذر..

لنتمكن من الهربِ بعيداً مُنتعمين بصحةٍ جيدة وعقل يُساوي الفراغ

امتنعنا بدايةً عن خوضِ أتفه الأُمور وأكثرها غرابةً

كان جارحٌ لقلبٍ..

لكن ليس من السهلِ اتباع عادات ليست فطرية بك

اعتيادها أصعب.. بل مستحيل!

فقد سَئمنا الذِّكريات، وسَئمنا الماضي

طرَحنا كِلاهما أرضاً

دهسنا كِلاهما دهساً

دَفَنا الأوّل وألحقناهُ بالمُعاناة

وعذَّبنا الآخر وألحقناهُ بالتَّخلي..

(٤٥)

لا زلتُ أبحثُ بداخلي عن سببٍ يتميّز بالإقناعِ يُجيب عن تساؤلاتي:

كيفَ لشخصٍ أن يكتبَ بكُل تلكَ المشاعر،

بكُل ذاك الحُب، الألم، الغرابة، دون أن يشعر بذلك؟

بحثتُ كثيراً، غُصت داخل خمس سنوات ماضية، ولم أفلح بتاتاً..

أقوم بطيّ الورق، بفتحِ دفاترٍ امتلأت بالغُبارِ ورائحة الماضي،

أتذكر التفاصيل، تخرجُ أمامي وكأنها أُفرجَ عنها في اللحظةِ عينها، ولم أتمكّن من إيقافها..

بعضها مُعلقٌ مُنذُ سنوات على حائطِ النسيان، وبعضها الآخر تمّ هجرها بالفعلِ، الجُزء البسيط منها والمفروض منه أن يتبخّر، تمّ استغلاله بطريقةٍ وحشيّة، فعهدَ على نفسهِ ألّا يميل .

بعضُ الأفكار تدورُ في رأسي باحثة عن أسئلة، كأنّها تسعى لكسبِ رضا مُؤيديها، حتّى لا تخضع لهم، ويتمكّنوا منها. رُبما أقوم بذلك لأنتهي من

حلقةِ النقاش الدائمة بل الصراع الدائم والكفاح غير المُسلح بداخلي.
لكّن ما يُقلقُ حقّاً أن الأرقَ تمكّن منّي بالفعل.

ساعاتٌ بلا نوم، تحديقٌ بالجدرانِ لا أعلم إلى أين سيصل؟ هل لأعماقِها، أم أكفي بالسطحيّة التي لا يُبالغ فيها، والذي يُفضله الآخرون في بعضِ الأحيان؟

رأسي مُشوّش، اتخذّ موقفاً حاداً، هُروب إلى اللامكان، عقلٌ مُرّبطٌ بداخلي، لا يجرؤ على الرحيل، إذاً هروبُ ماذا؟ ولأين؟

لا أعلم، لكنني سأُديرُ حلقةَ نقاش أُخرى معه بعدَ ساعاتٍ قليلة ..

أتمنى أن يكونَ قد راقَ لي..

(٤٦)

تشتدُ صرامتنا مع تمرّد الأيام

نَشعُر بأنّنا نَرتَطمُ بالأرضِ آلاف الْمَرات

نَضعُفُ ومن ثم نُصبِح أقوياء

بِمُساعدةِ أنفسنا وبدعمنا نحن..

فالعمر أَحوال.. يُسر وعُسر

تَسيرُ تِلك الأَوضاع وتَغدو كأنّنا في قطارٍ سَريـع

لا يَعرِف مَجرى اتجاه القلب

تتَناوَب بعض الْمَشاعِر في كُل ثانية

تماماً كتناوُب الْفُصول الأَربعة

نستمدُ قوّتنا من الماضي

نتجمدُ مع بقايا حسراتنا

في شِتاءٍ قارس
بارد إلى حَد الموت..

(٤٧)

ضجيجُ أفكاري تتزاحمُ ذريعة الفراغ

أُحاولُ الهروبَ من الواقعِ
أُحاولُ لملمة نفسي في خيالٍ
يحتضنُ دماغي
بل يعصرهُ عصراً كاملاً،
يُنسيه الكلمات التي لا موقعَ لها
يُفسحُ مجالاً لكي يحتلَ الفراغ محلّه
لكن! هل للفراغِ ضجيجٌ؟
هل له ضجيج كضجيج الكلمات؟
بتلاعبها، بتحويلها
وتحولها،
وتقليب نفسها تارةً
وتارةً أُخرى تلتفُ لتُعطي معنًى
مُختلف تماماً عمّا سبق ذكرها
هل له ضجيج كضجيج الكلمات؟
بكسرِ الحروفِ ومن ثُمّ ضمها

بفتحِ جرحها ومن ثُمّ تسكينها
هل له ضجيج حقاً؟
يملأ رأسي بمواضيعٍ شتّى
أُسجلُ على ورقةٍ بحبرٍ أزرق اللّون
أُضيفُ بعض البنفسجي له
بعض الخُطوط،
بعض التعليقات،
الأسئلة والاستفسارات،
عن بعضِ الأطعمة،
وكيف تُطهى،
عن النجومِ والكواكبِ،
عن المجراتِ بأكملها،
خليط ممزوج من كُل شيء،
تمنيتُ أن يهدأ قليلاً،
أن يأخذَ قِسطاً من الراحةِ
للُحيظاتٍ
أن يكتبَ نهايةً لكُل شيء
والغَرق في سُباتٍ لثلاثة أشهر مُتتابعة..

(٤٨)

هل يحقَ لجمادٍ الاستيلاءِ على الدورِ الرئيسي في القصّةِ؟

لا تُبدي لي اهتماماً عندما تُشاهدني أبتسمُ أو زادت حدّة الابتسام إلى الضحكِ وأنا أمسكُ كتاباً بينَ يديّ..

يُفضّل أن تتجاهلني.. لا تسألني عمّا يدورُ بداخلِ رأسي، وأينَ وصلتُ في مُخيّلتي؟ فهذا أمراً يخصُني أنا وما يوجدُ بينَ يديّ..

لديّ المقدرة على تخيّلِ أصغر التفاصيل التّي قرأتُها في كُلِ كِتابٍ، يُمكنني تذكر ما وصفته وما أدخلتهُ في حيّز الوصف، فحال سبّاك الماء الذي يُزعج كُتّاب الروايات في بدايةِ رواياتهم، أوصلتني لحالةٍ من التفكيرِ، رُبما لا يعلمون كيف لهم أن يبدؤا بالمُقدمةِ.. ليصلوا إلى حشوِ العرض.. فيبدأ باستعراضِ المُشكلة، يذكرُ تفاصيلها بدقّة، يشكو من فأر نائمٍ، كأن نومه يُزعجه، يتذمّر.. ويبدأ القارئ بتخيّلِ كُل تلكَ التفاصيل.. وهذا مُبتغى الكتاب..

لكن، لماذا يُبالغون في وصفِ أمرٍ يُمكنهم خلعهُ من جذوره، أو من أسلاكه؟ لماذا يصفونه وكأنّ محور الرواية كاملة، توّد أن تكونَ بطلة الرواية مثلاً؟ أصنبور ماء سيكون سبباً في جعلِ بطل الرواية يموت مُتمزقاً، مُتوجعاً، تالفاً؟ أحقاً سيأخذُ جزءاً ثانويّاً بأن يكونَ البطل في نهايةِ المطاف؟

وصفُ تلكَ الأشياء قد تجعل الشخص يدخلُ في الحائطِ، رُبما يتخللّ الجُدران أيضاً، أحياناً يُصاب بالفوضى والفُضول، ماذا يوجد خلفَ هذا الحائط؟ إلى أين يصل به؟

ستبدأ بسؤالٍ.. وتنتهي بمتاهةٍ.. وستبدأُ بألمٍ وتنتهي بأوجاعٍ وخدوشٍ.. لماذا لا نبقى بحدودِ الأمانِ مع أنفسنا؟

ما أكتبه الآن مليءٌ بأسئلةٍ فوضوية، خمسون سؤالاً في دقيقة؟

لا أعلمُ ماذا يحصُل لي، لكنّني سأجدُ حلاً لِما أبحثُ عنهُ مِن غير تحطيمُ جُدران، أو أن أجلبَ الهلاك لنفسي.

(٤٩)

جُلَّ الأُمورِ مُعاكِسة لأُخرها

أعددتُ الشاي بطريقةٍ مثاليّة

وأصبحتُ مِمن يُتقنهُ باحترافٍ

مذاقَهُ لذيذٌ حلوٌ ولونهُ مُستَطابٌ

انتهيتُ مِن دراستي

جعلتُ كُتبي على الطاولةِ

ركنتُ لزاويةٍ

وتركتُ نفسي تُفكّرُ إلى أن غاصتْ تماماً

انتصاراتي الصَّغيرة ..

لم يعلم بها أحد غيري

كان مِن الجميلِ إخفاء بعضَ الأُمورِ

حتّى عن نفسي ..

فالنسيانُ مِن النعمِ أيضاً ..

انكساراتي الكبيرة

أنقذتني.. أدخلتْ القوّة بداخِلي

لذلكَ لن ألومَها أبداً ..

فكُل الأُمورُ تُعاكِس أُخراها..

(٥٠)

افتراضاتُ حيّة ومنطقيّة

شُعور الملل يُفقدكَ كُل ما تملك، والانتظار يسلبُ منّك الإحساس، والفراغُ يُقللُّ من رغبتك في عملِ ما تريده، إلى متى سنبقى هكذا؟

رجونا الأيام لتُرينا منظوراً جديداً، مُختلفاً عن باقي الأيام، أصابنا التّعب ممّا نشعرَ به، الأيام مُماثلة، تشبه أُخراها، كأنّها تُقلّد السابق منها، حتّى حُروفي باتت يائسة، ضائعة، فاقدة للحس اللغوي، ومعانيٍّ أصبحوا في الحضيض.

أتأملُ أصابعي، أتمنى منهم العودةِ للكتابةِ، لا أفرضُ عليهم نصاً عميقاً بمعاني مجازيّة، أُريدُ فقط سطراً واحداً، والأيامُ ستحل باقي السُّطور، رُبما تُعطيني نجمةً، أتغزلُ بها إلى أن أنتهيَ من تدوينِ الكلمات.

(٥١)

تنازلتُ عن كوني شخص يُرضي الجميع

في البدايةِ ظننتها لُطفاً، رحابة صَدرٍ، وجمّالٌ روّحي،

لكّن مَن يتعايش في كوكبٍ وحشيّ شرس، كُل ما يُهمه هو نفسه، بارتضاءِ ذاته، وسكب الإسمنتَ علينا نحنُ الآخرون.

مضينا ماضينا بأنفُسنا، سعينا لمُستقبلنا بعقولنا، قفزنا قفزاتٍ بمُفردنا، تمسكّنا بما رأيناهُ مُناسب وتجاهلنا ما كان سبباً لتحطيمنا .

رفضناهُ إلى أن تمّ سلبهُ بطريقةٍ مُستوحشة، حاولنا الصُمود رُغم كُل العقبات ورغمَ الجروحِ والأصفاد التَّي خللّت أيدينا إلى أن تيّبست..

ونتائج ذلك ظهرت، فُتحت الأبواب عليها وكُسرت الأقفال، همّ الماضي بذكرياته عليه، وما اكتشفناهُ أنّنا إن بقينا ما نحنُ عليه مع الآخرين حتماً سنخسرُ أنفُسنا..

أستحضرُ نفسي لأُرضيها، لأُعوّضها عن كُل مُرٍ رأتهُ من البشرِ، أُقدسها، أُعلّمها دُروساً لتُصبحَ أقوى ممّا كانت عليه مُسبقاً.

(٥٢)

لا غيّب الله عنّي قلبكِ الذي أُحب

كُوني معي قصيدةً تُرافقني في سَفري

كُوني معي شِعراً أعتمد الروي كَباقي الأَبيات

كُوني معي نَقداً يتضمن آلاف المذاهب

كُوني معي قلباً يشعرُ بي في حالِ سقمي

...

كانت المرة الأُولى التي تبيّن عليها أنَّها لا تود منّي الرحيل، تُريد حذف ما يتعلقُ بفراقِ الأيام، لأُعاود الظُهور من جديد، كُنتُ أخشى رجفتَها، عيناها من الحُزن، وقلبها ألا يُصيبه أذًى أو حتى جُرحٍ بسيط..

لا غيّب الله عنّي قلبكِ الذي أُحب، ولا روحكِ التي تُلملم شوقي إليكِ، ولا عيناكِ التي إليهما ألجأ عند حنيني إليكِ..

(٥٣)

نمتلكُ القوّة النفوذ

لدينا القُدرة على السعي إيماضاً نحو القديم، ولدنيا القُدرة على العيشِ بين شظاياهُ المُعتمة، مسحِ مَن رمونا نحو العذابِ، ومحو ما رَمَمنا إلى أن بقينا بالحالِ الذّي كُنا فيهِ قبل مُدة وجيزة.

لدينا القُدرة على تقمّصِ الأدوارِ، على لعبِ وإعادة الشُعور بما عشناهُ قديماً، على مُحاربةِ ما كُنّا نُدافعُ عنه بنفسِ العفوية، وما كرهناهُ بسببِ أفعال ليست بالمُنطلق ولا المنطق.

لدينا القُدرة على حذفِ كُل ما امتلَكنا، والسيطرة على ما قيّدنا، نزعِ ما سلبنا واضطهدنا، لدينا القُدرة على مُضاعفةِ كُل ما شعرنا بهِ ولو بالقليل.

(٥٤)

لاهِفون لضمّ انتعاش الحُب...!

إنّا فائضو الإحساس،

مُثقلون بكُلِّ الحُب

وراغبون بكُلِّ الحُزن،

يلتف بنا التفافاً كاملاً

يحتلُ دماغنا لأطرافِ أقدامنا

احتلالاً كاملاً،

يقتبس منّا اقتباسات

تستلُ أرواحنا من أجسادنا

تُشعرك لوهلةٍ

أننا رُغم فرحٍ دام عليه يوم بمحاسنه
إلا أن هُناك يوم
على وشكِ القدوم..
على وشكِ طرق الأبوابِ
جاهداً..
للوصولِ إلى الفؤادِ،
حتى يتمكنَ من وضعِ أنابيبه بداخلهِ
ومنحه قوة ليست كأيٍّ من أصنافها،
تضخُ ما تحمله ضخاً إلى الفؤادِ مُحمّلاً
وعائداً بأكوامٍ من شظايا الحُزن
تُحاولُ أن تحصدَ ما برَحمِها
فكأنّها تجتثُ كُل ما بداخِلها من كآبةٍ
ليحين الوقت
كي يحتضنها انتعاش الحُبِ..

(٥٥)

صمتي يحتاجُ إلى طربِ!
صمتٌ حاد يجتثُ حُروفك
وقلبك لا يزال فيها مُعلّقٌ
قلمٌ تفاقم وجعه

فأُصيب برُمحٍ فكأنّهُا أُولى أوجاعه
سالَ دماً أم حبراً يا تُرى؟
فلم أُميّزه إلا أن رأيتُ صفحاته
رسالة وداع أم وصية بمعنى
خُطت بالأحمرِ، ونزفت حِداداً
غيّر قلمك، كما بدلّك أحدهم
واسجن أوجاعك، فصمتك يحتاج لطرب
بدّل سلامُك بعِناق! يُتلِفُ قلباً..
جعل بينك وبينه مسافةً بحجمِ البُعد الميؤوس
عِناق من كوكبٍ ليس له مبدأ
فكُل المبادئ ليس إلا كلام مُستملح..
اجعل لقلبك سماءً ترى نجومك بها
واصطنع نجومك من وحي الخيال..
اجعلهم أُناس لن يتخلوا عنّك!
على العُسر يسبقونك قبل اليُسر
انظر لنفسك..
ثغرك كئيب بحجمِ ماضيك
أيطيب لماضٍ فقد الألحان أن يعودَ؟
أُرسم لنفسك طريقاً للنورِ
ودَعك من آفاتِ الظلام

وإن لم تُتقن الرسم،
فيدي جاهزة لخوضِ معركة من الفنونِ!
اجعل لثغرك ابتسامةً تليق بوجنتيك
ودعك من كلامك " أين يَحلّ الجمال؟"
ارسم لوجنتيكَ رونقة تُطيب قلبك
بل تُرجعه طِفلاً
في السادسةِ
يَرقُصُ على ألحاني..
اجعل لنفسكَ ضميراً ثُنائي
فالأوّل يشعرُ بحالك
والآخر يَستلذ الفرح
أكثر من استخدامِ الورد إن أحببت*
ضح كافوراً،
اقحواناً،
أو نرجساً،
ضع الورد مجازاً
ودع الياسمين للشام،
فهي أحق منكَ فيها..
اجعل لقلبك ترنيمة خاصة بك!
لا أحد يسمعها.. سوى عقلك الداخلي

يُدندن مُبتسماً فتخرج ضحكة صاخبة من أحشائك

انسى أمر الحُزن ولو ليوم،

وقِف أمام نفسك وقُل

صمتي يحتاجُ إلى طربِ!

(٥٦)

اعتدنا على السيء واستأنسنا به

اعتدنا على أُمورٍ غير مُعتادة، اعتدنا على تشاريعٍ مُزيفة بدونِ حقوق، على قتلِ المليارات منا يومياً، اعتدنا على النسفِ المُتواصل بحقنا، والذُل المُرافق لنا أينما توجهنا، اعتدنا على انتهاكِ الحقوق بدونِ مبدأ، اعتدنا على الخيانةِ العلنية، وعلى تجاوزٍ للحدود وفرض حوافٍ مُهمشة لأطرافٍ مختذلة منّا.

(٥٧)

لا تحتملي نَفسكِ، فكيفَ لكِ أن تحتمليني؟

تتوهمين!

لن تستطيعي التَّحدث معي مُدة مُتواصلة،

لن تستطيعي أبدًا التَّأقلم معي ومع أفكاري..

أنا انطوائي، مَزاجيّ، أتَقلب في الدقيقة خَمسَ عشرة مرة،

صامتٌ بعض الأحيان وكئيبٌ في الحين الآخر!

أَقضي مُعظم الأوقات طاوياً نفسي في عُزلةٍ

لا أخرج منها إلا بعد بُكاء شديد!

لا أحتمل مَزاجي المُتعكر ولا حتّى أَتقبل فكرة أنّني انطوائي،
مُتقلبُ للمزاجِ وصَامت في سُكونِ الكون..
أكرهُ نفسي..
فكيفَ لكِ أن تحتمليني؟

أصبحتُ كَمنْ لا ملجأ له،
مَحصور بينَ جُدرانٍ انصهرتْ بها أحاديث مُحتدمة..
آلاف الأسئلة تسبحُ بخيالي
ولا يوجدُ جواباً واحداً يشفي غليل تلك الأسئلة.

(٥٨)

استنجدتُ لطَمِّ المُتناثر، صرّحتُ بالهدوءِ والوضوحِ
تذكرتني؟
مضت فترةً على فِراقنا،
مضت فترةً عجزتُ عن التَّضامنِ معك في أكثر مواقِفكَ حُزناً
مرّت هُنيهة،
لم أعتد على آثارِ الصدمات بعد
لم أعتد على تركِ بقايا الأفكار مُتناثرة بشكلٍ عشوائي
لم أعتد على أيةِ منهم..
اعتدتُ فقط على لحظةِ هُدوءٍ بجانبِ قهوتي،

أفكاري المُعقدة تتسلسل وتتّضح،
إن تعمقتُ، غرستُ نفسي في خيالٍ لا أستطيع الخُروج منه،
أُصممهُ بالطريقةِ التّي أُريدها
لكن،
صدمات التعثر
تُلوثُ دِماغي بالغُبارِ الداكن،
تجعلُ منّي شخصاً مجنوناً رُبما أو قريباً منه..
تُحوّلني بمثابةِ سقف قويّ عاجز عن السقوطِ
بل لحائطٍ يُعجَز عن كسرهِ بيد إنسان!

(٥٩)

معزوفة تُلحّن باسمِ الحُبِّ

عُزِفَ لَحنُ شِعرهِ بين الحاء والباء
لتُصبحَ في مَعزوفة الحُبِ عنوانا
والروحُ تسقي نَفسها بداءٍ
غلبَ على سقمها أيام بلا وئام
أسقطَتهُ فرائدهُ وانهار عرشُهُ
حتى غلبَ عليه الوَهن فانّهشَ
تَحداهُ مَن عاصره وناشدهُ،
أيا أبله يكفي التزحزح في القلم!

ألا يكفي تشويشاً يصدمُ الصمت؟
فأجابَ بصوتٍ جوهَريٌّ صاخب
مُستأنفاً أمر الضعفِ والهدوءِ..
أيا مُنتقداً يكفي التَّجهور في الصدى
وابني على صمتكَ جسراً من الألفاظِ
فالفوضى لا تزال تحمي اخشوشاني
وقلمي لا يزالُ يكتبك حتى في أوجِ أحزاني
أحدسي خاب الآن أم حدسك؟
لتُصّير أحوالي وتنعتني بالمُخمنِ
انسى أمر الحُب تماماً
واحتضن وسادتك واجعلني أوّل كاتبِ
يُمسي عليكَ ويَردُكَ سلاماً
في شعِره، فَترى أجمل كلام
فأجعلكَ قلقاً تنسى أمرَ النومِ بتاتاً
وحالكَ بين الطربِ والكآبةِ
فالزم قلبك، واطرد عقلك
في الحبِّ تَكُن أولَ دامي

(٦٠)

اختصر تشويشك والجأ إليّ

تحدّث معي عن أحلامك المُحترقة، والتّي تأخذُ حيزاً كبيراً في دماغك. تحدّث معي لنختر طريقة لتركيبها وبنائها، خلطها ومزجها، رُبما أختار لكَ طريقة تمتازُ بالكماليّة لإنجازها وإبرازها.

خُطط لمواجهتها إن انقلبت عليكَ ليوم، ضع خُططاً تُساندك، تثبّتكَ وأنتَ في خِضم حاجتك، امتص الأكسجين بقدرِ رغبتكَ به، وتجاهل الطُرق المسدودة، والطاقة المؤقتة، ونظّم مُخرجاتك.

فكّر على المدى البعيد، واقترح نتائج مُسبقة لخُطتك، وكيفية التصرفِ فيها، اجعل لنفسكَ طريقاً يعودُ عليكَ بالفائدةِ وليس لينقلبَ عليكَ.

(٦١)

اندلعت شُعلة الكتابة في داخلي

أشعرُ بالفراغِ، بكلامٍ ليس له مُتَّسع في دماغي، حتّى أنّ تراكيبه توقفت عن تكوينِ كلمة لتُعطي جملة تُلامس الأحاسيس، أو لتَقلب الموازين، خالي ومُصّفر من الحبِ والعاطفة، فكأنّني اتّبعت نهجاً كلاسيكياً من مذاهب الأدب القديم.

أَردتُ إطلاق العنان للعاطفة، ولكن دماغي سَئِم منه ومن تفكيره، فكأنّني مررتُ بفترةٍ مُزدحمة من المشاعرِ الممزوجة مع الودِّ من جهةٍ، والكره والفراغ من جهةٍ أُخرى، فأفرغتها على ورقي، ولكّن تغلّب عليّ الطرف الثَّاني، حتى أصبحتُ صفراً من المشاعرِ ومكتظٍ بالغمومِ، أي أصبحتُ لا أفقه التَّعبير الاعتيادي، أُعبّرُ ولكن بمُنتهى السَّطحية والجفاء.

هل هي بسبب قَهوتي؟ أم حالتي المُزرية.. الأمر سيّان، فَهُما تابِعان من نفسِ النُقطة (نُقطة النشئ)، قُدرة قهوتي التّي لم أتناولها منذ فترة طويلة، أجبرتني على تركِ الكِتابة والبدء بعهدٍ جديد من النسيانِ والتّجاهلِ، فكان قرار العودة عصيب عليّ..

أصبحتْ كلماتي باردة، خالية من العفويةٍ، تافهة نوعاً ما، لتصل لمرحلةٍ قد تفتقدُ تفريق الوعي عن الفراغ. تضعني في حالةٍ تسبقُ حالة الغرابة، لترحل تلك الأحاسيس وتبدأ رحلةً أُخرى في حياتي المُتمردة..

تجاهلتُ الواقع، تجاهلتُ الأحاسيس، استعنتُ بكلماتي الباردة، والقاسية واستخدمتها بالحديثِ عن العُنفِ، القَسوةِ، القَهرِ، الخذلانِ، الكرب والمحن.. رُبما تَشفق على حالتي وتُعيد سَكب المشاعر كَأوّل يوم اندلعت شُعلة في داخلي واكتشفتُ أمر الكتابة.

كتبتُ نصاً استدرجني تدريجياً نحو هلاكي، تمكنتُ من الكتابةِ عن أسوءِ الأحداث، أساليب التَّعذيب الهالكة، الحياة الصعبة وما شابه، كتبتُ ما بوسعي كتابته بكلماتي البَاردة والتي لا روح بها ولا مشاعر، حدّثتُ نفسي بها، كررتها مِراراً وتكراراً، حتّى أتقنتُ ما كتبت.

أُحاربُ الصعاب، وأتجاهل اليأس، أبدأ بالكتابةِ وكُوب القهوة لا يزال بجانبي مَوضوع! وخيالي لا يزال مَرسوم حولي! أنتظرُ الدقيقة ليتحول خيالي إلى حقيقة، لأترك القلم وأُنفّذ ما وصفته وصفاً دقيقاً بكتاباتي!

(٦٢)

سيكولوجية الألوان

إن استدعى العالمُ حُزننا، حتماً سيمتلأ بالسوادِ، باللونِ الأسود، سنعودُ للأبيضِ والأسود، إنّ ما نعيشهُ الآن مُنذ اجتيازنا لتلكَ المآسي هو ما يُخفف علينا، وهو ما يُعطينا الدافع لتكملةِ ما نود العيشَ من أجله.

الألوان في حياتنا ليست سوى دافعاً يواسينا لنجتازَ ما تبقى لنا لنعيشهُ، وتحقيق لأحلامنا التي تنتظرُ حياة بمُنتهى المثالية وبعيدة عن الأخطاءِ..

لدنيا القُدرة على مواجهةِ أحزاننا لكن بصعوبةٍ بالغة، التفاصيل الدقيقة ليست كافية لخوضِ عملية التَّجاوز وحدها، نتركُ الأمر لأيامٍ رُبما يطغى عليها غلاف يحمينا من الأوجاعِ المُتكررة والمُضاعفة.

(٦٣)

اتفاقٌ معقودٌ لأُسبوع

تشبث المرضُ بداخلي، تمسّكَ بي إلى أن لقنني درساً لعدمِ مرضي خلالَ سنتان مُتواصلتانِ، كأنهُ أمراً من المُلزم الانخراطُ به لأستمرَ في حياتي، وأنه شرط من الشروطِ التّي يجب أن أمُرَ به بحسبِ توقيعي على اتفاقيةِ الحياة .

قبضَ عليّ كما لو أنّني سجينٌ هاربٌ من زنزانتهِ، ولمدةِ سنتين لم يجدونني.. حاصرني، أوجعني، تمكّن منّي، تركني في غُرفةٍ مُظلمة لوحدي، عشتُ بأطرافٍ لا يُمكنني الشعور بهم مِن شدّة الوجع، وما زادَ الأمر ألماً، أن تلكَ الاتفاقية تشترطُ عليّ أن أعيشُ بهذا الوضع لأُسبوعٍ كاملٍ.

لم يكتفي بهذا فقط، بل بدأ يُعطيني درساً بمُستوياتٍ عديدة سأمرُ بها، مُجرّد تخيّل الوصب والأذى، ستَشعرُ أنّك تمضي بينَهم في هذهِ الآونة، ستَشعرُ وكأنّ روحك تُحاولُ الفرار منّك، ولكن لا جدوى، التهابٌ داخلك يصعدُ وينحدرُ فجأة. أهذا عُقاب مَن تحدّى المرضَ لفترةٍ مُتواصلة؟

ليسَ لدّي القُدرة على رسمِ الحدودِ، ولا لإنهاءِ الأمرِ ..

أتماشى مع الواقعِ وحسبِ العهد المرجوم.

(٦٤)

حوافٌ تُثنى على أُخراها

نُصوصهُ لا تزالُ ناقصة،

يبحثُ بين حروفهِ عن وسيلةٍ لشدّ ثناياهُا

ليطوي طرفها على مُنحنى الضعف لديه

فيُعطي كلماته دفعة من الألمِ والحُبِ في ضيقِ الوقت نفسه

ليتشتتَ ويبدأُ بعمليةِ سرد قصص مُستلبة من رحمِ المُعاناةِ والهُيامِ

يتفَقدُ ما إن كانت حياتهُ أشبهُ بدندنةٍ فظيعة أم أنّه أمر اعتادَ عليهِ، فأصبحَ منسوخٌ في دماغهِ

كأنهُ لا يصلحُ للعملِ بفكّرةٍ منسوخة

لم يُجرى أي تعديلٍ عليها

يتفقّد ما إن بَقي على قيدِ الحياة،

في كُل صباح يستيقظُ

بموعدٍ يختلفُ يوميّاً،

رُبع ساعة مُستزادة
ولرُبما أُخرى مُستنصقة
يسير مُثقلاً ليتسلّمَ مُر الحياة
تعباً، لا طاقة له لتحمّل كلمة واحدة من أيِّ أحد
وجههُ عابس، ضعفٌ عام مُستولاً على جسدهِ،
صمتٌ لا يُفارقهُ
جُرحٌ ينتفضُ
وقلبٌ يعيشُ بظلامٍ حالك
يتخبطُ كأعمى استولى على بصرهِ اسوادٌ أحوى
وكأنّهُ لا يعيشُ إلا في الدُجى..

(٦٥)

كان نومي يُشكّل قضية في يومٍ من أيامِ الماضي
لمتى سنبقى هكذا؟
نبحثُ عن أصغرِ تفاصيل الألم
لنزرعها بداخلِ أوردة بعضنا؟
كأنّنا نتهادى الحُب عن طريقِ السَّقم
أحقاً نومي فيهِ قضية لا يُمكن حلّها؟
أكُل ذلك لأنّني أغيبُ عن الوعي لمُجردِ وصولي لسريري
بسبب يوم مُتعبٌ، سالبٌ للقوّة؟

إننا نتمادى كثيراً في جعلِ مُشكلة صغيرة محور الكونِ، وكأنّه جُلّه مُتعلّق فيها!

لم تكن هذهِ السنواتُ قاسية ولا سهلة عليّ..
كانت فترة مُهدّدة بالانهيارِ، لكن الحُب يبنيها،
كانت فترة مُتزحزحة ما بينَ مشاعري وبينَ قلبه،
مدى تحملّي وتحملهُ،
حبّه لأشياء وكُرهي لها،
انعدام قُدرتي ورغبتهُ الدائمة بالتحمّلِ،
رغماً عنّ قدرتي الباهتة..

يُمكنني نفي نفسي لآلاف المترات، أن أبتعدَ لأمكنة قاصية،
الأهم من هذا كُلّه أن أتركَ لهُ طريق النومِ مُتاحاً له وأبتعد.

(٦٦)

طقس أشبه بالأيامِ

طقسٌ يستولي على أكثرِ المسائل كُرهاً ويُبعدها عن نطاقه، ليأخذَ حيّزهُ المُتوافر والمسموح له أن يقضيها لفورِ جلوسه واستقراره هُنا، شهر أو اثنان.. المُهمُ أنّهُ يُماثلُ عمليّةً تُشبهُ عمليّة الأيام، بحملِ ومسحِ ما يدفننا حُزناً ليرميهِ بعيداً عنّا، رُبما نسعى لكتابةِ شيء جديد من سيئاتنا فيهِ أو رُبما شيء من نظيرٍ آخر..

لن تسمحَ الفصول بتغييرِ مزاجها بناءً على حدثٍ حصل بكاملِ وعيه، ومُراعٍ لكُل تصاريف الواقع..

(٦٧)

لا أفقه وصف الأمكنة

تقاطع الطُرق

وتحويل الشوارع

تقطعُ حبلَ الوصلِ والوصالِ بداخلي

تُشعرني بالعجزِ، والتوقف

كأنّها تسلبُ منّي طريقتي في اتخاذِ قراري

وبأيّ اتجاهٍ سأمضي،

كأنّني عالقٌ بين طرفيّ شارع ولا أعرف وصف مكاني

ولا أعرف أين أنا،

-هل سأبقى هُنا للأبد؟ أم أنني سأنجو ككُل مرّة أخضعُ فيها لتنازل ذليل، وخوف مُربك؟

سأنجو رُبما، لكن شُعور الضعف يضطهدني بطريقةٍ وحشيّة جداً، أُحاولُ المشي.. لكن لا فائدة

قدماي مُعقودات ببعضهم..

لا أتحركُ سوى مليمتر واحد أو حتّى أقل..

أو رُبما يتهيأُ لي بأنّني أُقدم خُطوة واحدة

لن أخوضَ تجربة جديدة

تُشعرني للبُرهة الأُولى أنّني لستُ كاملاً

وأن الخوفَ يتمكّنُ منّي في كُل مرّة أخضعُ فيها لموقفٍ مثيل

أتغاضى ولكن لا فائدة.. سأتماشى مع الأمرِ وكأنّني أعتادَ على الضربِ وسلبِ ما بداخلي من قوّةٍ، لأقف ذليلاً حائراً بين تقاطع وتحولات مساري..

(٦٨)

نسخٌ ولصق... لا شيء بالجديد

مواقفٌ استنسخت أُخراها..

بتركِ آثار وبُقع مُدبّرة على حوافِ خطٍ زمنّي،

تُدوّن فيهِ جولاتها الحاسمة على مدارِ ضُغوطاتها،

مرحلة مُندثرة، تتحوّل لانتقاليّة،

تُغيّر وضعيتها من حالٍ إلى حال،

توّجبَ منّي أن أُهملَ ما أستطيعُ فعله باتجاهها

وتناسيتُ أمرَ تفقدُها،

ما إن كانت على وشكِ السقوطِ مِن الحافّة

أم أنّها لازمت الاستقرار والمُقاومة لميل المُنحنى الثابت،

لتقلِبَ جُلَّ الأشياءِ لمُنكرٍ مكروه..

كأنّها تركت أدائها لتسيرُ بمسارِ العفوية غيرُ المُخططِ لها،

واكتفت بامتنانٍ يصلحُ نفسها..

وبياض غطّى على اسودادها

(٦٩)

لم أفهم مَغزاه

جاءني على هَيئةِ كاتب

يُبادلني كلمات بمنظورِ كاتب،

يُود منيّ قراءة ما يُدونه،

رُبما تشجيعاً أو تساهلاً مع أمرِ الواقع

قرأتُ وتنعمتُ بما تَفتحتْ له عيناي..

دوّنتُ له على هَيئةِ كاتبة

سيسعدُ الناسُ بِكتاباتك

انسى أمرك المُقيّد

وابحث عمّا تَحولُ إليهِ رُوحَك ..

جاءني على هَيئةِ مُخرج،

يُرتب تفاصيل قِصته ترتيباً توافقيّاً

قرأتُ وتنعمتُ بما تَفتحتْ لي أبواب خيالي..

دونتُ له على هيئةِ مُخرِجة،

استمع إليّ أيّها المُخرِج،

لن تنالَ المُنى إلا إن أخرجتَ نسائمكَ

ابدأ وكُن على يقينٍ بأنّ وهمَك يَعيشُ معك ..

كُن على يقينٍ بأنّكَ لن تكونَ بحاجةِ أحدٍ سوى خيالك..
جاءني على هَيئةِ ناقد،
ينقدُ ما يُدونه،
يشتكي إليّ ألمَ حُروفه
يُود منيّ أن أتصيّرَ لطبيبةٍ رُغماً عنيّ،
رُبما أنتقي عِلاجاً لكلماته...
فجِئتهُ على هيئةِ ناقدة،
أخرجتُ له حُروفه المُستترة،
وضعتُ له بعض الضماداتِ على كلماتهِ
من دونِ تحولي لطبيبة،
فقد كِدتُ أُعطيهم ورقةً مُبعثرة بالسوادِ
كَجرعةٍ زائدة لمريضِ قلب!

جاءني على هيئةِ مُحرر،
يتساءلُ عن جمالِ عِنوانه،
لأردُّ بالاستسلامِ،
فتماسكتُ، تنَهدتُ،
واستسلمتُ للواقعِ
حررَ لي أفكاري وعباراتي..
أَطلقَ عَنانها لأطرافِ السماءِ ..

إلى أن تعمقتْ، فبدأتْ بالتزاحمِ إلى المركزِ،
جئتهُ على هيئةِ مُحررة،
وما كانت إلا عاصفةً من الحُروفِ المُبعثرة
تفاعلتُ مع قَسوتِها،
وازدحمتُ في مِحورِها
إلى أن رأيتها تَحتَضِر
تفصحُ عن أسرارِها.. كأنّها آخر لحظاتها،
تخضعُ لِتنازلٍ ذليل ..
إلى أن تعَمقتُ فيما تفتحتْ له مُقلتاي

فجاءها على هيئةِ مُنقذ ..
سحبَ أطرافها الذليلة،
غيّر مكانها فكأنّه قد استوحى قُرباً بجانبها،
رتّب كل منها بما يُلائمُ أسطُرها،
ودوّن كلّ بما يُناسبُ عرضها،
لم يتعمق في أفكارهِ كثيراً على عُمقِ ما تَعمق في معانيه
فجئتهُ على هيئةِ مُنقِذة ..
وقلتُ له: احذر من الأعماقِ، وتماسك بالأطرافِ، فأنتَ تحتاجها
لن تعيشَ في الأوجِ كثيراً.. فلرُبما يُكسرُ لك ساق ..
فتفقدُ نعمتها دوماً وتندم..

(٧٠)

انتقام ومنطق

إن لم يكن باستطاعتنا فعل شيء، فاعلم أنّنا واجهنا أشياء لم يواجها أمثالُك، كأنّنا استعدينا للعيشِ حياة مُرفهّة، لا تخلو من أيّ شائبة، ولكن جاءَت دقيقة قضت على رَغدُ عيشنا برمشةِ عين.

أصبحَ ما كان منطق بيننا، يتحولُ تدريجياً لانتقام ذو نتيجة فعّالة، ومع مرور الأيامِ تحوّل لانتقام صارم على كلينا، كأنّنا نجولُ في الكونِ ونُقررُ أكثر الطرقِ عذاباً في مدينةٍ تختارُها أناملنا، وأكثرها فعاليّة وألماً، مُجرّبة لا تخلو من زلل.. اعتدنا على الوصبِ والأسى.

سعادة لم تُفكّر بالتعلّقُ بنا، حُزن اصطادنا من بينِ جميع البشر على المعمورةِ، حُزن تشبث بنا، نشبَ أعضاءنا حتّى نخرها فوصل فيهِ لعصبها.. اتخذنا قراراً ليس بالسهلِ ولا بالصعبِ، كانت سعادةً مُتعلقة بإحدانا، انفصلنا عن طريقنا لنعتادَ على الوحدةِ.. حُبٌ تحوّل لكراهية، ومنطق تحوّل لانتقام عنيد لا يُشبعُ منه.

(٧١)

مُتكئٌ على بياضِ قلبه

لطالما جعلتْ من كلماتَكَ لحناً تُدندنُهُ في كُل مرّة تُحاولُ مساسَ رُوحها فيها، تحطيمكَ للبُعد بفكرك، ونداءَكَ بالعفوِ التّام عن نفسها.

صدقتَ حينما تَفوهّتَ بأمرِ الغياب، رُغمَ مُزاحكَ الدائم عن المسألةِ، فلم تُميّز أبداً بأنّها الحمقاء وأنتَ مالك أمرها. سيُقلبُ عليكَ أمرها، ستشعرُ بأنّ كلامها سيُدخِلكَ بحالةٍ من الاضطرابِ والوسواسِ بداخلكَ،

تُحاولُ إقناعَ نفسكَ بأنّك لم تسعى لخيبة أحد، وأنّك مُتكئٌ على بياضِ قلبك الطاهر، عديم الأذى.

صدقتَ عندما تفوهّتَ بأنّها عالقةٌ برأسكَ، ولن تستطيعَ تَجاوزها، ولا تجاوز ما يغلبك، ولا حتّى الأشياء التّي تُحبها، ستتذكرها كُلّما ردَّ الليلُ ذكراها.. فاختم ما بدأتَ بهِ وامضي إلى أن يدنو موعد عذابك.

(٧٢)

لا يزالُ كما رويته، لم يتجدّد

بأنّ المسافة التّي تركتها، لا زلتُ أشعرُ بدُنوها، وأنّ الآثار التّي امتصتها اليابسة، أصبحت الآن جليّة،

القلب الذي تركته يتخبطُ بضياعهِ واندثارهِ، لا يزالُ يملأهُ الثقوب..

لا يزالُ كما عرفتهُ.. قلبهَ محشو بالخُرافاتِ المُثقلة، والعواطف المُزيفة، السائل الأحمر بين عُروقهِ قد تعمّق بداخلهِ شُعيراتُ شفقتي عليه..

كُنا نلتقي بداخلِ أسطرنا وصفحاتنا،

نكتبُ ونُفرغ على ورقنا بعضاً من الأحاديثِ المُختلقة،

إلى أن تمنيتُ لبُرهة أن أنتزعَ جزءاً من كلامهِ المُستملح، فقير المشاعر والكبرياء ..

وأبدأُ بعمليّة إلقائها في نُفاياتِ العالم الغربي..

(٧٣)

غُبار قضى حرفياً على المدينةِ وخَلقِها

لنّ يشعر بتلك المُعاناة إلا من قضى جُلَّ حياتهِ بين أكوامٍ من الغُبار حتّى امتلأ أنفه منها، وصاحت ثغرتاهُ من أثارها التّي اتخذّت لها مسكناً وأصرّت بالمبيتِ على أطرافِ عينهِ. وبعد مُدة، ستتمكنُ من الهجرةِ للحلق والاستقرار فيها مُسببة وجعاً لا يُكافَح.

غُبارها حلَّ علينا كإعصار لمّ شمله وقضى على جُلّ ما حوله، لم يستخدمَ المسار التدريجي.. بل استوجبهُ علينا واشترطهُ كُرهاً لكّي لا نشعر بشيء كما سيشعر به أقراننا..

كأنهُ فَرضَ سيطرته علينا واختارنا جميعُنا بشحمنا، لنبقى في طريقهِ ومواجهاً له، يرشُ ما بداخلهِ علينا، فنستنشقهُ كأنّهُ أُولى مراحلِ عذابنا، ثم نغرقُ في كومةٍ من الغُبارِ الوخيم.

نُحاولُ إيجادَ حُلول أو نُصف حُلول، النصف الأوّل صائب لا خطأ فيه ولكن استكمالها باطل غير جائز، نُحاول التعديلَ عليهِ لكن لا فائدة، كأنّنا نُفكّر وأدمغتهم مُتجمدّة صعبة الانصهار، نُقدّم أفكاراً لكّن دونَ جدوى، لكن في نفادِ الأمر، سنعتادُ على إتمامِ حصيلتنا، ولَحدِ أخطائنا.

(٧٤)

بطيء الاستيعاب، رافض التكيّفِ

بدأتُ بحلِّ صراعات مركونة مُنذُ زمنٍ في حياتي،

لم تكن من تلك التّي فارقتني،

ولم تكن من تلك التي حاصرتني،

واجهتني بشكلٍ مُقلقٍ،

لكي أرتاب وأُتهّم

لكنّني هُنا،

في تمامِ الساعة الثامنة صباحاً

أُرتبُ وقتي، وأقيسُ مدى جُهدي في تحمّلِ ما أستطيع احتماله

أُنظمُ وقتي، وكأنّني على موعدٍ مع دماغي في سهرةٍ طويلة لكي أستعيدَ حياتي ووقتي،

بعدما قضت عليهِ تحديات غزيرة،

فأصبحَ مركوناً مزويّاً للحائطِ،

لا يُفكّر كما تُفكّر الأدمغة الأُخرى،

ولا تخطرُ ببالهِ الأفكار المنسوخة ولا النظيرة منهم،

ولا حتّى كما يُريد صاحبه،

كأنّه ألّفَ فكرة مُعينة مُنكرة،

وبدأ بالتعمّقِ بها، لكنه لن يصلَ لنتيجةٍ في نهايةِ الشوط،

لأنَّ ما بُنى عليهِ، لا وجودَ له، ولا أساسَ له من الصحّة،

كُل ما يفعلهُ أنّهُ يُقسّم وقته للتفكيرِ بذاتِ الشيء،

مُعاناته المُعتادة كانت ولا زالت صدمة من الصراعات اللامُتناهية في حياته،

تحوّلت من حياةٍ منطقيّة،

لأُخرى مُشوهة،

حتّى عُصارة تفكيره، لا علاقة لها بالواقعِ،

كأنّهُ يسبحُ في خيالٍ مُنذُ وقتٍ طويل، وقد اعتادَ عليهِ..

أصبحَ صعبُ التأقلمِ، واستوعب بعد زمن أن هذهِ دُنيا حقيقيّة

وليست كما يظُنها خيال مع أجسامٍ تموت وتعود للحياةِ في ذات الدقيقة..

(٧٥)

استُنفذت الأفكار جميعها

العالمُ مليء بقصصٍ لا تُروى، بقصصٍ محفورةٍ في درككٍ لا يُمكنُ الوصولُ إليهِ بسببِ طمم وضعناهُ بأنفُسنا ولعدمِ اهتمامنا، رفضناهُ بسببِ تفضيلنا لأشياءَ تافهة ودفعها على الأُخرى، غطّت مكانها بل أخذتهُ مُحتلةً جميعَ خصائصها، أو رُبما تنكّرت للشُهرة، وبعدَ مُدّة من عدمِ الاكتراثِ بالأمر، تعودُ للطممِ، تُفكّر بطريقةٍ لتُعاودَ للبروزِ، وتبقى على تَجددٍ دائمٍ بعد اكتشاف الإجراءات النظامية في هذهِ الدوّامة..

أصبحَ من الصعبِ ومن السهلِ أيضاً التفكيرُ بما يُفكّر بهِ الناس: حديثُ الساعةِ، ضئيلُ المعلوماتِ، مُختزل الكلامِ، أي شيء من هذا القبيل.. برغمِ أن الاقناعَ كان مهارة في السابقِ ويُمكنَ لكَ التحلّي بها لتتماشى مع المُجتمعِ، الواقعِ، الأيام والأشخاص، لكن اليوم، من دونِ تعبٍ أو كلل، يُقلّلون من فرصةِ بذلِ مهارتكَ تلك، لأنهم وبِبساطةٍ لا يُفضلون القواعدَ والمبادئ، القوانين والأدلّة، البراهين والاستنتاجات، أصبحت النتائج جاهزة، ردود الأفعالِ مُنتهكة، لا شيءَ بقي كما كان في السابق، كُل شيء أصبحَ مُتأهبٌ لعملية التصفيةِ والغَربلة ضمن المفاهيم والمُعتقدات الجديدة...

(٧٦)

أجبرتها الأيّام على خوضِ التَّجارب وحدها

لم تُسعفها افتراضاتها المُهترئة، لا زالت تُعاني، أصبحت تلجأ للعلاجِ وحدها، وتُشفى وحدها، أصبحت من اللَّواتي يعملنَّ لوحدهنَّ، يعتمدنَ على أنفسهنَّ، ومِن هؤلاء اللواتي تُفضلنَّ الموتَ على أن تتلقى مُساعدة مِن شخصٍ ولو كان بالقريبِ..

تحوّلت للّاتي اعتدنَ على جمعِ أشيائهنّ لوحدهنَّ، تشعرُ وكأنَّ الحياةَ لها، مكتوبة لأجلها، ولها مَوقعُها في سطورِ حياتِها، تُعانِي وتعودُ للعلاجِ لأنّها تعلمُ بما ستفعلُ الحياةُ بها بعد مُدّة مع أفكارها الوخيمة..

تُصفَعُ مِن دونِ أيّ مُبرر، أصبحَ نجواها نائياً من العُمقِ، تُحاولُ الغوص تارةً والأُخرى تستفيقُ على ماءٍ باردٍ انسكبَ على وجهها، تُحاولُ الغوص مرّات عدّة، لكنّ دماغها تجمّد، لم تعُد قادرة على العومِ أكثر من الحدودِ المرسومةِ لها..

تفاصيلٌ من دونِ رأي، حديثٌ من غيرِ كلام، يُمكن وصفها بتصّفُحٍ للأفكارِ من دونِ إبداء أي ردّة فعل، حتّى على مسائلٍ من المُفترضِ عرضِ رصانة فطنتكَ وخبرتك فيها، فقد اعتادت على النسخِ والتَّقليد..
وأجبرتها عراقيل العُمرِ على الاحتذاءِ والمُحاكاة..

(٧٧)

خيّرتكَ واخترتَ بكاملِ رغبتك

نلجأُ للونِ الرمادي أحياناً،

في أيامنا اليائسة،

فاقدة للحس البديع،

قريبة مِن الوَهنِ والعجزِ كما هي عِظامنا،
مُتيبّسة مُتصلبة،
لا تدري عن حالها،
تستفيقُ على التهابٍ حطّم أنسجتها تحطيماً كاملاً،
من غيرِ إنذارٍ سابق،
تنتظرُ اليوم الذي سيزولُ فيه الألم من دونِ علاج أو دواء،
ظناً منّك أنهُ عقاباً يستحقهُ جسدك،
تُلوّن حياتكَ بعدها بالرمادّي،
تأكيداً بأنّها الطريقة الوحيدة للبقاء بعيداً عن حالِ المُجتمع العنيد،
تعيشُ وحيداً، خالياً من الرغبةِ بالكلامِ،
حديثك مُوجز، تُجيبُ على مقاسِ الأسئلة،
عدمتَ التفاصيل، وظلمتَ وجدانك معها،
شحبٌ استولى على وجهكَ، واصفرار حلَّ عليكَ بأكملك،
وكأنّك خرجتَ من غُرفةِ الأشباحِ مُنذُ دقائق،
وكانت المرّة الأُولى التي تسمعُ فيها عن الوُحوشِ،
وأنتَ قد مضيتَ أربعٌ وأربعونَ عاماً من حياتك الوخيمة،
صفعتكَ الدُنيا بما فيهِ الكفاية، خيّرتك واخترتَ بكاملِ رغبتك،
انتظر مصيرك، ولأبدأ تدوينة جديدة غير مفهومة..

(٧٨)

أشطرٌ مُعتلّة غلبتها البلادة

نتوقفُ أحياناً عن الكتابةِ لغرضَ خلّو النَّص من العناصرِ، لن تجدَ موضوعاً بغايةِ الأهمية على مقياسِ المُحتوى وبطل الأسطر، تسعى لتستفيقَ من حالةِ الضجر التّي تُمكّنكَ من التمددِ بطريقةٍ غير قانونيّة بنظرِ والدتك، ظهرٌ مُستقيمٌ، أعضاءٌ غير منسدلة، وغير متنية، وغطاءٌ يرُصُ عظامَكَ ولو أنّهُ في أوجِ الصيفِ .

وجّه للعالمِ تُهمةً

أتذكرُ حينما جلستَ يوماً بأكملهِ، بساعاتهِ الأربعٍ وعشرين من دونِ أن يُبقيكَ العالم في أمانٍ مع قلمكَ؟ ومن دونِ أن يمدَ لكَ أيدي الطمأنينة؟ لن تشعرَ بذلك لحين صدور اتفاقية السّكينة تلك، جميعُنا نُريدُ السلام الداخلي، والتحرر من الأذَى.

عناصرُ أسطُري رُبما تختزلُ حياة شخص لا يزالُ على قيدِ الحياة يتنفس، تُلائمهُ بعض الحُلول التّي دونتُها ليتماشى مع مشاكلهِ في الواقعِ.

"-أفكارٌ مُستنفذة.. لماذا لا آتي بها...؟"

حتّى تلكَ الأفكارِ رُغم اختزالها، واستخدامها وإعادَةِ تدويرها لن تنفعَكَ في شيء، عندما تعيدُ للكلمةِ رونقها، بإجراءِ تعديلاتك عليها ستستنتجَ في نهايةِ الأمرِ أنّك فعلتَ ما يجدر بكَ فعلهُ، وأنّك أنتَ بطلُ أسطركَ، لا أحدَ غيرك ..

عناصِركَ مُهترئة

تتمادى في اختيارِ شخصياتك في نصٍ رُبما حلَّ عليهِ قُرون وهو لا يزالُ في مكانهِ يتألم، يشكو ضعفهِ وركاكتهِ، يعلمُ بأنَّ هُنالكَ جُزءٌ مفقودٌ لا يزالُ

يبحثُ عن نورهِ، عن ضوءٍ يُعيدُ لهُ نَفَسَاً ليتقمّص دوراً في حياتهِ الرثّة مليئةً بالصدأ..

تتمادى في خلقِ جوٍ لشخوصك، قديمة، خياليّة، ورُبما حقيقيّة وواقعيّة..

ما يكشفُ عن أمرِها وما يبرزُها للسطح، مدى حقيقة النص، كأنّك حينما تلمسه تشعرُ بنعومته، مصقولُ الحوافِ، وأملس القاعِ، إن تمكّنتَ مِن الحُكمِ، فاحكم بالعدلِ وابدأ من العُمق.

(٧٩)

لا تعتقد أن التَّجاوز يسير كغيابك!

لن تُصدقني إنَ قُلتُ لكَ أنّني لستُ أُبالي بما يحصلُ لك، لكن ما يُعنيني حقّاً أنّك على ما يُرامٍ ولا تشكو من أيّ ألم، أُخاطِبُكَ الآن وكأنّنا لا زلنا في تلك الأيام، لن أُسميها اليائسة حتَى وإنّ تخلينا سويّاً عن طريقنا الذي اعتدنا فيه على السيرِ معاً..

أدخلني كُل ذلك بحالةٍ مِن الحُزن، وأعلمُ تماماً أن ذلك طولهُ وعرضه، وعرضه وارتفاعه لا يُشكّل أيّ فارق لديك.. أشتاقُ لتلكَ الأيامِ، الذكرياتِ، الأصدقاء.. ما أندمُ عليهِ حقّاً أنّنا أخذنا صوراً لكُل ذكرى معاً، التقطناها ونحنُ في أوجِ سعادتنا.. يصعبُ عليّ جداً أن أحذفَ ذكرياتنا، أُفضّلُ أن تخنقني حُزناً على أن أضعُ نفسي خاضعةً للموتِ بأرجلي..

(٨٠)

لستُ كاتبة بقدرِ ما جعلوني أسأمُ الكتابة

أسبابٌ غامضةٌ، ليس لها محلها بينَ السطورِ، نوايا مُخبئة، تبحثُ عن مثيلاتها بين أرواحٌ مهتزلة، عقولٌ خلعت ردائها الذي منحها الدفء طوال تلكَ السنين ..

غرابةُ الأمرِ أن كُل ما عرقلَ حياتي، أصبحَ بالغريبِ، وما يُسيطرُ على كِلانا كلامٌ رسميٌّ حلَّ علينا كلعنةٍ أجبرتنا على استنزافِ ما نحملُ من طاقةٍ هائلةٍ وبثُها في أرضٍ تعبت من الأقدامِ التّي تُدهسُ عليها، مراراً وتكراراً من غيرِ راحة..

من بعدِ فرط قرابتنا، ظنّوا بأنّنا نفس واحدة، تختلفُ ببعضِ التَّفاصيل الصَّغيرة جداً، أرواحنا مثلاً، تفضيلاتنا لبعضِ الأشياءِ، كُتبٌ نقرؤها، رونقُ قهوتنا، فالأُولى مُحلاةٌ بالطبعِ، والأُخرى مريرة.. كُل شيء تحوّل لدقائقٍ احتلتها الغرابة وأصبحت تُحيّرُ العقول..

كُل يوم تُؤكدُ لنا الحياة أننا نتعلّم تدريجياً أشياءَ وفيرة من الأمسِ، ومن ماضينا، "إنها الخسارة التي تُعلمنا قيمة الأشياء."

(٨١)

لا أُريدُ التعميم.. لكّن كُل الأشياءِ لها وجهان

كُنتُ بارعاً برسمِ حدودٍ لا يُمكنُ لأحدٍ منّا تجاوزها، كانت مُناسبة لكِ، ومنطقيّة بالنسبةِ لي، أرشدتني سنوات الغُربةِ لطريقٍ أشعرُ بأنّهُ صحيح، لأنني بذلتُ كُل ما بوسعي لأكونَ الشخص الذي يقفُ على كلتا قدميهِ الآن، من دونِ تضييقٍ من أي جانبٍ.. عرفتُ قيمتها، مع أنّني كُنتُ أسأمُها لشدةَ شروطِها وقوانينها، لكن جاء الوقت الذي ستعلمُ بهِ كيّفية تحويلُ كُرهك للأشياءِ التي لطالما رفضتها لصديقك..

كُنتُ لا أبرعُ في أُمورٍ شتّى، أضعُ هذا على ذاك، وذاك على هذا، كأنّني أخلطُ مزيجاً من مُكوناتٍ ليست مألوفة بالنسبةِ لي، غريبةٌ كحالِ الغُربةِ التّي كُنتُ عليها، ولا زلتُ أشعرُ بها في وحدتي..

(٨٢)

لا أميلُ لتحليل الشخصيات، لكّن وسامة عقلهِ أجبرتني

ليس شخصاً سطحياً، بل يميلُ للعُمقِ، اجتماعيّ، لا يُعكّر مزاجهُ بسبب خطأ فظيع، يسكنُ ويبيتُ بين الكُتب، كأنّهُ يبني لهُ قصراً كلاسيكياً قديماً بين أسطرِ رواياته، جُمل تنساقُ مع واقعِ حياته، أو رُبما يُحاولُ التَّمثل بها، شخصيته لا تزالُ بين ماضٍ سابقٍ وحاضرٍ آجلاً، مُمسكاً بطرفٍ من عصورٍ ماضية، من رسومٍ كلاسيكيّة، ونصوصٍ طويلة، يُمتّعهُ الأدب الروسيّ، الكُتّاب الروسيون، كُتب يحملُها بينَ كفيهِ، يلمسُها وكأنّها المرّة الأولى التي يتحسسُ فيها صفحاتٍ مُلائمة لتفكيره، فوقعَ في حُبّها مُنذُ اللمسةِ الأُولى .

يُصففُ شعرهُ بناءً على شخصيةٍ تقّمصها في إحدى رواياتهِ، يعيشُ دورها ويرتجلُ بالتفاصيل، فلسفتهُ مُتميزة، قراءاته عميقة، بالعُمقِ الذي يستفيضُ مِن مفاهيمه ومُصطلحاتهِ عندما يرتدي نظارتهِ ويسدلُ شعرهُ بعيداً عن الأضواءِ، النقاشاتِ، والبشر مِن حوله، كأنَّ مرحلة التَّناظر تبدأ بعد الساعةِ الثانية عشرة فجراً، لا يُمكنُ وَصفهُ بالوحيدِ لأنَّ ملجأهُ وأصدقاءهُ ينتظرونهُ داخلَ غلاف متنيّ على ورقٍ أُختُنقَ من ثُقلهِ.

(٨٣)

صديقٌ يُحاولُ البقاءَ بجانبك

من حقّك الاحتفاظُ بحياتكَ الخاصّة بعيدة عنّي، لا أطلبُ سوى أن تكونَ بخير، من حقّكَ الانعزال أينما تُريد، ومتى أردت، فأنا لستُ ظلّك الظليل الذي يُرافقكَ أينما ذهبتَ في النهار، ولستُ غطاءَكَ الذّي لا يُفارقكَ في الشتاءِ، لستُ إلا صديقاً يدعو أن يكونَ قلبكَ مليئاً بالطمأنينةِ ليس أكثر. مِن حقّكَ أن تبتعدَ لتجدَ طريقاً خاصاً بك عندما تسأمُ منّي،

أنّ تختارَ نصيباً من السعادةِ ولا تُشاركني بها، فأنا لستُ من الذين يجلسونَ بجانبكَ يتمنونَ أن تُحرمَ من بُشراكَ لأنّني لم أكُن جُزءاً منها، يُمكنكَ أن تبتعدَ صامتاً مِن دونِ ترك آثارٍ وبقايا تكشفُ لي أنّك مُتردداً بالحديثِ عن أمرٍ يخصُكَ، لكن لا تجعلني شاهِداً على تمزقاتكَ الداخليّة، من حقّكَ أن تُغلقَ باباً لا يجلبُ لكَ سوى الأذى، وأن تُغلق كتاباً لا يُعجبك، وأن تبني حدوداً مع الآخرين، لكَ الحق في الرد على أجوبتي المُنتظرة، ولكَ الحق بإنهاءِ مُكالماتي المُزعجة، مِن حقّك أن تفعلَ أي شيء، فلستَ مُكبلاً ولا مُقيداً بي، لكنّك بعدَما وضعتني في حُفرةٍ وسدّدتَ رميكَ عليّ، جعلتنَي أُشككُ بنفسي، فكّرتُ عاماً كاملاً - أأذيتُكَ بشيء؟- كانَ دائماً جوابي "لا أدري، لا أعلم، رُبما اختلفت الأسباب، رُبما لم يكُن هُنالك أسباب، كُل شيء يتغيّر، وكُل البشر تتغيّر.. لكن لا بأس، ثُم أدعو لكَ بالسعادةِ، ليس لأنّكَ هجرتني، بل لأنّني لا زلتُ أُقدّر مدى سعادتي في تلك الأيام التّي عَلموا كم لبثت صداقتُنا".. اعلم أنّك حينما تعودُ سأُخففُ عنّك وطأة جروحك.. لذة أيامنا لم تكن عابرة مُندثرة، بل كانت سنواتٌ مِن الأُلفة والولاء.

(٨٤)

الحياة:

دُنيا ملاذُها هالك، مواقفٌ مليئةٌ باللّامُبالاة، استراتيجياتٌ مع عناصرٍ تالفة، أيامٌ صعبةٌ تَستَنفُدُ القوّةَ بداخِلِنا، إنّها لألماً يَقضمُ ويتفاقمُ مِن حِدته، صَفحةٌ تطوي نفسها فوقَ الأُخرى، وطنٌ مسروقٌ، طريقٌ مليء بالتناقضاتِ، تاريخٌ تمّ كتابته، دقائقٌ مريرةٌ، وأُخرى دافئة، مواسمٌ تجلبُ الاختلاف، مشاعرٌ مُبلّلةٌ بالدموعِ. طريقٌ للعابرين ودفءٌ مشمولٌ في قصيدةٍ.

(٨٥)

كُن معي حينما يتلاشاني الجميع

ساعِدني حينما تحتّلُ أفكاري البلهاء عليّ، عندما أكونُ عالقاً مُكبلاً مِن قبلِ ضميري، وعندما أكونُ في مأزقٍ مع نجوايَ في مُنتصفِ الليلِ، ابني لي طريقاً خاصاً بي، قدّم لي بُشرى تجعلُ روحي تنشرحُ لدقائق، مُدَّ ذراعيكَ نحوي لتُمسكَ بي حينما أكادُ أن أسقط، كُن معي حينما يتلاشى الجميع حالي وانحطاطي..

(٨٦)

ساعاتٌ افتِتاحيّة، أيامٌ بدائيّة، شُهورٌ انتقاليّة، وسنواتٌ مُكتدَحَة ..

أفكارنا تحتاجُ لوهلةٍ من التهيئةِ قبلَ التجرؤِ على خوضِ مرحلة جديدة من التخاطرِ، تحملها الساعات فتنقُلها لأيامٍ تجعلنا نُفكّر بطريقة لا عقلانيّة بها، كأنّها تُمددُ أطرفها رويداً رويداً لتتعدّى حاجزٌ يُعرقلها، يُحاصرها، يوقفها، ويُكبّلها، ستشكو من التعبِ، وعدم التحمّلِ لتنالَ ما تُريدهُ وتنتقلُ لمرحلةٍ أشدّ صعوبة على الخُروجِ والنُضوج، لكن بشروطٍ واهِنَة، ولتُكوّن فكرة مطروحة بأشهرٍ لتُنضجَ مع الوقتِ سلسلةً من جُلِّ أفكارنا، والتّي يُمكِنُنا أخذها بخُطًى سريعة للبدءِ بإحرازِ مُخرجاتنا ونواتِجنا، سنواتنا المُنتظرة على حوافٍ رضّة، مليئة بالصدوعِ كأنّها مُتشبثة بكُل ما تحملهُ من جُهدٍ، وأوشكت على السُقوطِ بسببِ كميّة الضعفِ الذي حلّت عليها طوال تلكَ الأيام، أصبحت ثقيلةً بالعجزِ.. تلكَ السنوات ما هي إلّا أداةً لضمانِ تحقيقُ ما يدورُ في عقلِكَ أو استبعاده، لذا، فكّر بالطريقةِ الصحيحة وابنيها على الصوابِ لأنّك حتماً ستتّبعها في أيامِكَ القادمة...

(٨٧)

موجة أخطاء عارمة

سبعونَ صفحةً فارغة أمامي، تنتظرُ منّي تعبئتها ببعضِ الحُروفِ وتزينها بالحركاتِ، أقفُ حائرةً حيالها، أشعرُ أنّني فقدتُ لُغتي ومُصطلحاتي، أُسافرُ بخيالي، أُفكّر بالكتابةِ عنّي، عمّا يحصلُ معي، أفرادٌ تعاملتُ معهم، وآخرونَ جعلوني في دركِ حُزني، كثيرةٌ هي المواقف التَّي مِن المُمكنِ تدوينها، لكن هُناك شيءٌ غامضٌ فيما أكتب، إنَ كان ما أكتبهُ دار في مركزِ حياتي، أقلِبُه رأساً على عقبٍ، لن أجعلَ أي شيء ظاهرٍ ومكشوف، حتّى لو كانت حُروفي ركيكة، أُعطي للكلمة تعريفٍ يخُصُ موقِعها، وبجُملةٍ أُخرى أستخدمُ نقيضها لتكتمل.. لكن معاني كلماتي وطريقتي في التعبيرِ ليس كما تظنها أنتَ...

أظُنُ أنّني قد أُسافرُ بكَ لمواقفٍ لم تتخيّلها ليوم، ولن تتخلّلَ لذهنك، لمعانٍ لم تسمع بها من قبل، يُمكنني ذلك، فهاكَ يدي واستمتع بالقراءةِ...

(٨٨)

كلاسيكيّ، مهووسٌ بالأبيضِ والأسود

أُفضلُ الأدبَ، التاريخ، الشِعرِ والشُعراء، الزمن الكلاسيكي، الكُتابٌ الروسيون، والمُوسيقا الكلاسيكيّة، تُعيدني لزمنٍ لم أكن على قيدِ الحياةِ فيه، لكن أشعرُ بأنّ لها رونقاً خاصاً بجيلِ مَن عَمّرَ بذاك العصرِ، فكأنها تُضفي نوعاً مُختلفاً لهذهِ الدُنيا، وهؤلاءِ الأيام..

اللَّون الرمادي يحتكرُ خيالي، أتخيلُ عالَماً، مليئاً بالتفاصيلِ القديمة، الرثّة، والعتيقة، أشياءً لم تُدمجها التكنولوجيا في دائرةِ معارفِها..

كيفَ نشتاقُ لذلك العصر ونحنُ لم نعش يوماً واحداً فيه؟ وكيفَ ننتمي لتفاصيلهُ وكأنّنا نفخرُ فيه؟

إن الأمرَ جُلهُ أنّنا نستريحُ في عصرٍ عتيق لأن ثناياهُ وشظاياهُ يُشبهُنا..

(٨٩)

كوّنتَ لي كتلة مِن العُقدِ

قد لا نتفقُ كِلانا ببعضِ الآراء المُسردة، نتحاورُ وكأنّنا على علمٍ بكُل ما يجري حولنا، تتحدثُ وكأنّك قائدُ رأي تُحاولُ إقناعي بأيِّ وسيلة وتريدُني أن أنجرفَ تحتَ آراءكَ، وعندما يحين دوري للتحدثُ، تُجبرني على تجاوزِ حدودِ الغضبِ، وأبدأُ برمي اللومِ عليكَ، فقط لإنّك أحزنتني بطريقةٍ مُستفزّة... لتبدأُ باتهامي أنّني شخصٌ مُتناقضٌ لكلامي! أنانيٌّ لا يُفكّر سوى بنفسه، لا أعلمُ أين أعيش!

راعيتُ أنّك تحمّلت الكثير، وحملتَ على أكتافك عبءَ اكتئابي المؤقت وحُزني، ولعدمَ رغبتي بإكمالِ الحياة، كُنتَ بجانبي حينما تخلّى الجميعُ عنّي، اتخذّتَ على نفسكَ عهداً أنّك لن تجعلني أشعرُ بالوحدةِ وأنتَ بجانبي، قررّتَ أن تتركَ كُل التزاماتك وتواسيني بأشدِّ أيامي وجعاً، لكن في دقيقةٍ... تحوّلتُ لوحشٍ لا يفهمك... لشخصٍ أنانيّ ومُتناقض..

خَلت جُعبتي تماماً من الكلامِ، ونَزفتُ ما بقدري من الحُزنِ، لكن، ماذا عساي أن أفعلَ غير ابتلاعِ المُرِّ.. والاستمرار قُدماً؟

*وُصفتُ بالأنانيّة... لماذا لا أُكملُ دربي مُعتقدةً أنّني أنانيّة؟

-إنّني هُنا، ألفُ نفسي بغطاءٍ يلفني بكاملي، أضعُ رأسي على وسادةٍ ملساء، تنتظرُ منّي أن أُغرقها بدُموعي، أذكرُ تلكَ الأيام... أُفكّر بكلامك، أعودُ لهُ، حفظتُ كُل حرفٍ فيه من شدّة قساوته، لكّن ماذا عساي أن

أفعلَ أيضاً سوى البُكاء؟ لا شيء سوى البُكاء بصوتٍ عالٍ... وكأنّها آخرُ أنفاسي... لا أحدَ يعلمُ كيفَ يقضي البُكاءَ على الفردِ... إلا مَن عاشرَ الموقفَ عينهُ ..

-إنّني هُنا.. أنتظرُ النومَ ليغلبَ عليّ فيُغشى عليّ مِن الغَم...

(٩٠)

الكذب أيضاً له انعكاساتٌ قاسية

وعودٌ مُختَلَقة، كلامٌ مُراوغ، التزاماتٌ زائفة، وعُهودٌ مُؤجلة، لم يحتمل فؤادي أكثرَ من ذلك، أشعرُ بأنّ روحي فقدت شهيتها للحياةِ، كأنّها تودُ تقيؤ ما بداخلِها من أوجاعٍ لا تُحتمل، وكلام غير مُنفّذ، وكأنّ كُل سنة تمر علينا يُختلقَ جواباً جديداً لا يزالُ حديثاً خارجاً من رحمِ المصاعِبِ، برغمِ الانتظار، إلا أن حياتي أصبحت تتكئُ على عصًا حدباء، ورُوحي مُعلّقة بين المُستقبل وما تحملهُ لي الأيام لتبُثهُ في وجهي وكأنّهُ سُم..

صدّقتُ ما قِيل واكترثتُ لِما سيُظهرهُ لي الوقت، هل سيكونُ معي؟ أم سينقلبُ ضدّي؟ أو ستنقلب أنتَ ضدّي؟ ماذا نفعل إن شعرنا جميعنا بأنّ لا مكان لنا في هذا الكون، وكأنّهُ ليس هُنالك مُتسعاً لنا؟ لماذا نحنُ على قيدِ الحياةِ؟ ولماذا نشعرُ بالحُزنِ ونختلقَ بعضَ القصصِ الموجعة؟ أيصعبُ علينا أن نشمَّ أريج الراحةِ؟ أن ننخرَ ضحكةً على شفاهِنا؟

إن سألتني، فلا أعتقدُ أن الأمرَ بهذهِ الصَّعوبة..

(٩١)

جُزء مفقودٌ يجدُ مثيلهُ فيتكامل

نصوصٌ عديدة لم أقم بإتمامِها، كتبتُ جزءاً والآخر ينتظرُ مِن أحدٍ أن يُماثلُها بغرابتها، عُمقها، وتفكيرها بالأشياءِ، يُمد لها يد المعونةِ لتكتمل،

كأنّها تخلطُ ما بينها وبينهُ بطريقةٍ استدراجيّة ليكتملوا في ذاتِ الوقت، جُزء مفقودٌ يجدُ نظريهُ فيكتمل، شُعور مُندثرٌ قد تحوّل للحُب بمُجردِ شُعورك بالحنينِ لموقف عابرٍ كانَ يحملُ مِن الودِّ ما تكترثُ لتدوينهُ داخلَ سطور لطالما تمنيتَ أن تُعبّر عنه بهذهِ الطريقة... وما تشعرُ بهِ ينعكسُ تلقائياً على تعابيرِ وجهكَ الفاضحة، وينهمرُ في داخلكَ كأنّهُ سائلاً بارداً انصبّ بداخلكَ فأيقظك.

(٩٢)

كانت كومة من الخياراتِ في مكانٍ خاطئ

لم تَكُن اختياراتك سهلة، ولم تَكُن من تلك التي نادتْ ببذلِ جُهدٍ وعناء كبيرين، كانت من ذات التّي احتاجت ذهناً صافياً، جلسة انعزال، ووقتاً إضافياً، الأمرُ لم يَكُن سهلاً عليكَ، لأنّك رُغمَ ذلك كُلّه، لم يبقى أمراً واحداً بمحلهِ الصحيح، ولم يبقى أيّ شيء كما اعتدتهُ سابقاً، عليكَ التنازل عن مضامينَ كثيرة تُعنيك، عليكَ إدراك بأنّ جُل الحُطام الذي حطمّك، لم يَكُن سوى حُطاماً، بل هو مِن دروسُ الحياةِ المفروضة على كُل مَن هو حيّ، مُقدمةً لكَ إياهُ بين يديها وبينَ طياتها وأيامها، لن تُغلبَ على أمرها من شيء، كُل ما تُقدمهُ لكَ، إن كُنتَ شخصاً يُجيدُ ربطَ الأشياءِ ببعضها، ستتعلمُ ولو كانت كُل الأُمورِ في اعوجاجٍ لا يستقيم، اختياراتك تلك، ستغدو بارزةً في أيامك التّي أوشكت على القدومِ..

(٩٣)

لكُلّ فعل ردّة فعل

ثمّةَ أُموراً يجب عليكَ مُجاراتها، حياتكَ لن تسير أبداً مع ما يحتويهِ باطنك، إلا إن سمحتَ لهُ بالاستلاءِ على حالك ليقضى نهائياً عليك..

باختصارٍ، لكُل شيء في هذهِ الدُنيا الهالكة ردّة فعل، إن تعاملتَ بكرهٍ مع أفرادِها، ستغدو دُنياكَ مُحمّلةً بهديّةٍ داخلها كومة من الكُرهِ تلقاها في وجهكَ مُعوضةً عن كُل ما أظهَرتَهُ للعالمِ طيلة حياتك..

(٩٤)

أتلومُ نفسكَ على حُزنٍ سبَبتَهُ لي؟

تُراكَ جالساً ساكناً في تلكَ الغُرفةِ المزوية للحائط،

تلومُ نفسكَ على جِدالٍ تافهٍ جرى بيننا،

بسببِ أُمورٍ سخيفة انقلبنَا على بَعضنا،

أعطيتني لكمةً مِن كلماتكَ الفظّة،

وناديتُ بلكماتٍ تُنهيكَ وتُزعجك،

لكنَّ الأُمور زادت عن السيطرةِ ..

ودخلنا بمرحلةٍ..

لم تكن في الحُسبانِ، ولم تكُن في ذهنِ أحد منّا،

تلومُني لِما سببّته لكَ مِن وجعٍ،

وتُظهر لي حالك وكأنّك لم تُطلِقَ صوبي حرفاً،

رصاصُكَ بالوجعِ مُعبئٌ،

ورأسي قد تعبَ من الدُوارِ..

أنانيون لا نُفكّر سِوى بحالنا،

والحُزنُ يأكُلنا، ويقضِمُ لحمنا قضماً،

أعيُننا تيّبست من العقابِ،

والسهر لساعاتٍ بعد مُنتصفِ الظلامِ،
أيمكُن أن نوصفَ حالنا،
بينَ ضجرٍ وعنادٍ..
وحِدّةٍ استولت عليها الفظاظةِ،
أظنُ أنّنا لسنا بالعالمين،
أن نهايةَ المُغترب
وطنٌ يحويهِ بأطرافهِ،
يُنسيهِ ما عاشَ مِن سوادٍ،
ويُقلّصُ حدّة رؤيته،
ليُسكنهُ في جَنّةِ حُرِمَ مِن رؤيتها لأعوامِ،
أمصيرُنا سيلتقي أم ستتقطّعُ سُبلنا؟
قُل لي بربّكَ وأعطيني جواباً
يصفو ويصفحُ عن كلينا

(٩٥)

تكونتُ فيهِ وكونني..

العالمُ حيز قاسٍ جداً، قاسٍ على الذينَ يُفرطونَ بالشعورِ بطريقةٍ لا إدراكية، الذينَ يُعطونَ الأولوية لمشاعرهم قبل عُقولهم، شديدو المُلاحظة، مُمسكو ومُخزنو التَّفاصيل، على مَن لا يعرف كيفيّة الافتراق والمُغادرة، ولا طريقة الابتعاد في أوجِ الحُزن.. العالمُ مكانٌ جِلفٌ جداً، للذينَ تثاقلت عليهم الخيبات، وغلبَ عليهم الإحباط، ردّوا بالاستسلامِ وباطنهم مليءٌ بالإنهشام، على مَن يمتلكَ صعوبةً بإظهارِ البوحِ، الذينَ لا

يرسمونَ الخُطط خوفاً مِن الكركَبةِ، على الذينَ لا يمتلكون البراعة في الردَّ، ومَن يتلقَنونَ درسَ نسخ للمُتابعة، على من يعيشُ دور المُحبّ وهو لا يؤمِنُ بالحُب، على مَن يحملونَ ذكرياتهم في رائحةِ معاطِف الشتاء القديمة، الذينَ يُفضلونَ الكتابةَ على ورقٍ ملموسٍ بدلاً من العالمِ الرقميَّ، وعلى اللّذينَ يُحبذونَ الجو الغائم.. العالمُ مضيقٌ جامدٌ جِداً، وقد تكوّنتُ فيهِ وكونني..

(٩٦)

افتراضاتٌ أنقذتني

أصبحَ كُل شيء يدورِ في خيالي حقيقةً بلهاء، الكُرسيُّ بُغرفتي يتحرّكُ من غيرِ توقّفٍ بطريقةٍ غريبة، هستيرية، يعودُ للخلفِ ومن ثُمَّ يُعاودُ الإقدام، سريري يرميني في كُلِ مرةٍ أُطيلُ فيها النوم لساعاتٍ لا يُمكنُ عدّها ولا حَصرها، أقلامي نفذت من الحبرِ والأسوأ مِن ذلك كُلّه، أنّني أبحثُ عن ورقٍ لأُخفف عن وطأةِ أيامي لكنّهم اختفوا فجأةً، كأنّ أحداً ألقى تعويذةً عليهم وأجبرهم على الرحيلِ بدونِ ذكر السبب، ولا تركِ أثراً ولا رسالةَ وداع... حسمتْ أمرها واختارت فقط خيار الرحيل... حتّى أوراقِيَ العتيقة، المليئةُ بالكلماتِ، والحبرُ المفروغُ عليها ضاعت.. لم يُكن باستطاعتي البحثُ عنها مِن جديد.. فقد غلبتني اللامُبالاة، بل ووصلت بي لأعلى مُستوياتها.

أعاودُ السيرَ قُدماً، أحملُ على يدي معطفاً رُبما أرشدني على طريقٍ أبحثُ فيها عن شيءٍ خلّفتُه مُنذُ سنوات... لا شيءَ بالطبيعيّ، حتّى مِعطفي تحوّل لبوصلة يتغيرُ لونه بين الأحمر إن اقتربنا لمكانٍ مُختار، وللأزرق إن ابتعدنا، هكذا سُرتُ معهُ لئن وصلتُ لوجهتي..

تحدثتُ مع الجُدرانِ، والغريبُ مِن هذا أنها أجابتني.. هل الكُرسي، السرير، أقلامي وأوراقي وحتّى معطفي بحالٍ طبيعي؟ لا شيءَ يسيرُ بمُنتهى العادية، كُل شيء يسيرُ مُخالفٌ لأمرِ الواقعِ مُماشياً مع عالمِ الافتراضاتِ والخيال غير المُطبّق وغير المنطقيّ...

أصبحتُ أشعرُ بغرابةٍ تستولي عليّ شيئاً فشيئاً، كأنَّ داخلي ينكمشُ ويُسيطرُ عليهِ فُقاعة تُحاول التغيير من لمسة، إن اقتربت منّك، انفجرت، وأفرغت ما بداخلها في أحشائك، وكأنّهُا عدوى تنتقلُ بالتَّلامس، لا يُمكنكَ أن تتخلّصَ منها إلا بعدَ ستِ سنوات..

قاربتُ على الوصولِ لمنطقة لا أعلمُ أينَ تقع، أنتظرُ المزيد مِن الأُمور خارقة المُستحيل لتحدث.. لكن كُل شيء أصبح بالهادئ للحظةِ، أشعرُ بتخبطاتٍ وأصوات تقتربُ شيئاً فشيئاً، وأُمورٌ تقتربُ من وجهي وكأنّهُ موجودٌ تحت طياتِ الجلدِ كنزٌ عميق.. أتقنتُ أنّني في حالةِ سُباتٍ مُنذُ وقت طويل جداً.. وأنَّ كُل ما هو ليسَ بالطبيعي أنقذَ حياتي بالخُروجِ مِن غيبوبتي، حتّى الغيبوبة لم تسأم منّي.. لكن هذا ما جرى..

(٩٧)

الثالثة صباحاً

لا تُعاتب نفسكَ على اختياراتٍ خاطئة اتخذتَها مُنذُ مطلع البداية، ولا تُأنّب نفسك لأنهم تبدلوا لشخصياتٍ أكثرَ سُماً من الثعابينِ، ولا تقتُل ذاتك لأنّهم فكّروا لمرّة أن يغيبوا وصَدقوا، ولا تُحزن نفسك لأنّ حاضركَ فقدَ شخصاً لن يُكملَ معكَ مُستقبلك، تُركتَ في مُنتصفِ الطريقِ حائراً، إن سيُعاودُ للظهورِ مرّة أُخرى، أم أنّهُ سيَلُّمُ نفسهُ في جُحرتهِ ويبتعد عنّك، يجب عليكَ أن تُأمِنَ لهم طريقَ المُغادرةِ بنفسك، ولتسكبَ كوماً

من المسامير حولكَ وفي أي مكانٍ ترتحلُ إليهِ، حتّى لا تسمح لهم بالتفكيرِ للعودةِ مرّة أُخرى لجانبك، حاول اقناعَ نفسكَ أنّهم كانوا نُقطةً على سطرٍ في أيامكَ الماضية، ولكن جولتكَ توقفّت هُنا، وأنّ كُل ما قدمتَ من تراكُماتٍ هو أقصى ما يُمكنكَ تقديمُها، فانهِها بنقطةٍ نهاية السطرِ، عُدَّها استراحةً للفؤادِ.. وامضي قُدماً..

(٩٨)

فجوةٌ عميقة بينهم والسبب.. ليس أنا

مِن الصعبِ كتابةِ ما يجري في أيامي،

معي، بينَ سُطوري.. في دقائقي المارّة، وساعاتي التّي تستعدُ للرحيل بأسرعَ ما لديها من وقت، مِن الصعبِ الحديث عن كُل شيء..

عِش معي من دونِ كلامٍ، مِن غير تدوينٍ خاصٍ لك، ومُتعلّقٌ بي، ما أُسجلّهُ في قائمةِ الكِتابةِ لا يُعنيك، يُمكنكَ الاستعانةِ بشخصٍ روائي، يكتُب تفاصيلَ كُل ثانية في يومهِ، أما أنا فأُدونُ لأُخلّص نفسي مِن حالتي المُزرية، لكن بدونِ ذكر وضاءَة التفاصيل، أُهمشُها بطريقةٍ لا يُمكنُ لي أن ألتَفتَ إليها ..

هل أُحدثّكَ عن النزاع اليوميّ الذي يجري في دماغي، في كُل ليلةٍ أنوي فيها كتابةِ نصٍ، مُعتقدةً أن لكُل كلمة فيها لها موقِعها الثابت على السطر! كلماتٌ تُسابق الأُخرى، على أخذِ موقعَ الهُجومِ والدّفاع، لا أحدَ مُنهم يوّد أن يكونَ صدراً حانياً حامياً للآخر، تغلبهم حالةً مِن الخوفِ والقلق، يعتقدونَ أن الأطرافَ في النَّصِ دلالة على الضعفِ والركاكةِ،

لذلكَ يحتفظونَ ويُفضّلونَ مكاناً في الوسطِ بينَ الجُموعِ، لكي تُسحَبَ مِن يدهم شهادةَ المسؤوليّة تلك..

عجزتُ تماماً عن الكتابةِ في بدايةِ الأمر، مُعتقدةً أن الخلل منّي..
أصبحتُ لا أفقه الكِتابةِ ولا ترتيبُ حُروفي.. وما تبيّن لي بعدَ جلسة هادئة، صوتُ همسات صادرة من نزاعٍ حاد، مجهول المصدر، وضعتُ رأسي على الطاولةِ، على دفتري، أدركتُ أنّ هُنالكَ مُشادّة بصوتٍ مُنخفضٌ جداً للبعيد، ومُرتفعٌ جداً للقريب.. علمتُ أنّ ما يحدثُ على الورقِ الأملس معركة مُسلحّة بينهم، وما أيقنتهُ أن الخللُ ليسَ منّي، بل منهم..

(٩٩)

الأوّل مِن ديسمبر

رياح قوّية، أمطارٌ غزيرة..

الجو باردٌ جداً والمكان هُنا هادئ جداً..

أستنجدُ بمعطفي، وغطاءٍ ألمُّ نفسي فيه

وكأنّهُ بيتي وسطَ هذا الجو القارص

لم أتمكّن من تحديدِ بوصلة دماغي من التّجمد

لم أتمكّن من التحكّمِ بأيِّ شيء،

لا داخلي ولا حولي..

فكُل شيء كان في حالةِ تجمّدٍ ومِن ضِمنهم أنا،

كُنت متجمداً داخليّاً وخارجياً،

كُنت محكوماً بجُملةٍ واحدة.. جعلتني أبتسمُ من دونِ شعور،

جعلتني في حالةِ إرباكٍ، لم تتمكّن ذاتي من الشعورِ به سابقاً.. لكن هذا ما حصل..

الأوّل من ديسمبر

كانت الأشدُ حناناً بين كُل تلك الأيام في السّنة الأُولى منذُ أن تمكنّني الوعي،

أصبحتُ في الواحدِ والعشرين وأشعرُ أنّني نضجتُ بليلةٍ وضُحاها،

لا أعلمُ لِما، وكيف؟ لكن هذا ما جرى..

أعودُ لذلك الصوت، والكلمات..

أنظرُ لمخارجِ الحُروف وكيف خرجت،

وكيفَ تغيّرت الحوادث مِن حولك،

تفاصيلٌ تمكّنت من الظهورِ فجأةً..

وأنا لازِلتُ في نفسِ المكانِ جالسٌ،

والزمن ذاته مُتجمّد..

لا أعلمُ إن كُنتُ حقّاً سأتماشى مع ذلكَ يوماً

لكن إن أعطيتُ لنفسي فُرصةً،

وغلبتها خطوةً،

سأتمكّنُ من اجتيازِ مرحلة الخوفِ الأُولى ..

(١٠٠)

حُزنك ليس طفيفاً

مرحلةٌ تبدأ هُنيهة من دونِ إنذارٍ سابق ولا حتّى طرقة باب خفيفة إذ يُمكنُني لومُ نفسي على عدمِ الإصغاءِ إليها، تدخلُ حياتك فجأةً، تحتلّها، ترميكَ خارجاً عن حدودِها، تُشردّك وتُنسيكَ أمر حياتك..

- حُزنك ليس طفيفاً لتتماشى مع الأمرِ وتجعلهُ نُدبةً بداخلك..

أي نُدبةٍ في الجسم هي علامة ستتغير لونها بحسبِ شدتها لكن في نهايةِ المطافِ ستعودُ لنفس لون جلدك، لكّن ليست بالتّمام، إذ تمكّنتَ من الاقترابِ منها ستتمكّن من رؤيةِ شدّةِ وضوحِها.. والحُزن يُشابِهها..

عالج حُزنكَ لتتمكّن من إخراجهِ من داخلك، من حُدودك، حتّى لا يُطاردكَ لأسابيعٍ أو رُبما لأشهر، أو لسنواتٍ طويلة.. لا تجعلها مليئة بالنُدبِ.. عالجها وابدأ بالاعتياد..

حُزنك ليس طفيفاً.. داويهِ بحُزنٍ آخر

(١٠١)

استرح.. فهُناكَ في الكونِ نَصٌ يُشبِهك ..

أقرأُ عدّة صفحات مِن كتابٍ ما قبل أن أخلدَ إلى النوم، أقتربُ مِن مصيرٍ يحلُّ بي لأغرقَ داخل أسطرهِ المُشبعة، أغوصُ للأعماقِ، أسلِبُ حاجتي، أُقدّمُ واجباً، وأستسحبُ نفسي لأُنقِذها، وأُطلِقُ عنانِها، لتعيشَ بحُريّةٍ، وتُغلق على نفسها باباً موصداً، فكأنّ ما يحدثُ داخل الكِتاب لن يمسني،

ولن يقتربَ منّي.. لكّن ردّة فعلهِ ستنقلبُ عليّ حتّى إن وضعتُ مئةِ عُذرٍ وحُجةٍ..

أسيرُ مُتخبطاً، أشعرُ بأنّ ما أراهُ صورتين بداخلِ أُخرى، تكبرُ وتصغر، تتوسّع أبعدها وتعودُ لتنكمش، حالها يتصيّر لشكلٍ غريب بينَ دقيقة وأُخرى... لا يُمكنني تخيّل المزيد، أشعرُ أنّني سأتقيأ، بل أشعرُ أنَّني أقتربُ وأبتعد عنها، لا أعلم ما الذّي يحدث.. ولكنّني سأفقدُ وعيي في أي دقيقة..

مضيتُ قُدماً، أنظرُ يميناً ويساراً.. نظراتٌ والتفافاتٌ لتحميني عن كُل ما يحدُثُ حولي.. تخبطاتٌ تُشعرُكَ بقشعريرةٍ لا إراديّة، صوتٌ يَسلبُ قُدرتكَ على التحمّلِ، بمُجرّدِ أن تتخيلهُ، سيُدخِلكَ في نوبةٍ مِن الصرعِ..

أعودُ للغوصِ في الأعماقِ، تاركاً السطح لمَن يهابُ السُفوح.. أُلملمُ نفسي وأحشائي بينَ كفيَ وأمشي.. أركضُ.. أركضُ.. ولا سبيلَ للوصولِ، رُبما سأتعفنُ في الصفحةِ السابعة..

فقد استرحتُ في نصٍ يُشبِهُني..

(١٠٢)

اعترافٌ وثُقل..

ليلةٌ ثقيلةٌ.. أعترفُ بذلك

مشاعرٌ مُكتظّة، وكلامٌ مِن المُحالِ نسيانه،

كانت مُجرّد كلمات ومِن الواجبِ والراحةِ أن تُقال..

بأيِّ دقيقة.. وبأيّ لحظة، يتوجبُ عليكَ قول كُل ما تشعرُ به..

من دونِ تجهيزٍ ولا تخطيطٍ سابق..

ادفع الباب وقُل ما في حوزتكَ فوراً، كأنّني سأُوصدُ البابَ في وجهك..
تخيّلني أفعلُ ذلك، لكّن لا تُخفي عليّ مشاعراً تشعرها بداخلك،

ليس لديكَ الحقّ بالتعلّق بشخصٍ بسبب افراطِ التفكيرِ به،

اجعل لنفسك سبيلاً لقراءةِ أدمغة البشر،

والشعورِ بما سيقولونه اتجاهك، ابني لهم سبيلاً للوصولِ إلكَ.. مِن دونِ عناءً شاق يُهلكهم قبل القدومِ إلك..

ليلةٌ أُخرى ثقيلةٌ

ولازال الموضوع نفسه، تردّدٌ يُسيطرُ على خطواته، يقدم خطوة ويعاود للرجوعِ عشرات الخُطوات..

حاسبتهُ ووبختّهُ في دماغي.. لكن ما حدث عكس ذلك، كانت أحشاءه تحكمهُا خجلاً فظيعاً.. يُراقبُ خُطواته، يُزيلُ العثرات مِن طريقه، يخشى الخطأ، عذرتهُ وقدمتُ عُذراً لنفسي.. ومع ذلك أنهيتُ الأمرَ في عقلي، ولكنّهُ لن يُغلق في فؤادي ..

ليلةٌ ثانية مُرهِقة..

بعد أعوامٍ، جاء فاتحاً إليّ ذراعيه يقولُ بعضِ مُلاحظاتهِ المركونة مُنذ سنوات.. تلقيتُ كلماتً إلى أن شعرتُ نفسي من شدّة الحرّ كأنّني إبريق شاي يغلي مُنذُ دقائقٍ على نارٍ مُرتفعة، ردودُ فِعلي ساكنة، لم أُظهِر أيّ مِنها، لأنّني لم أتأكّد مِن أن حياتي لا تزال مُستمرةً بالشكلِ الذي أُريدهُ ويُريده.. لي مِن حياتي ما شئت، ولهُ مِن حياتهِ ما شاء..

(١٠٣)

سيتركَكَ أساكَ عندَما ينتهيَ مِن صُنعك

داخلي مشوشٌ.. مليءٌ بالغبشِ.. بأشياءٍ مُبهمة
مُنتهية مُنذُ زمن..
أفكاري تُظهِرَ لك حالها الوَهن المهزول،
تُعطيكَ دفعةً مِن حالها المُكتئب،
قليل الكلام، شاحبَ الوجه..
ضعيفُ الحركة، وعيونٌ شِبهُ مُغلقة..
بعيدٌ عن النَّاسِ، مُنشغلٌ بذاتهِ
قريبٌ مِن حُزنه، وشديدٌ على الأيام
ينتظرُ يوماً يُزالُ عنّهُ غطاء الانتظارِ
ليحملَ الأسى ويُسقطهُ مِن أعلى مكان..
يُعطيهِ ظهرهُ ويُلقي عليها كبريتاً
ليحرقَ ما يحويهِ، وما سبّبَّ لهُ من ألمٍ
يُغطّي وجههُ ويُغلقَ مسالكهُ التَّنفسيّة..
ليُخيّلُ لهُ أنَ بابتعادهِ، سيركلهُ حُزنهُ ويبتعدُ..
غلبهُ ألمهُ وصار يركض، فعلم أنهُ قد أخطأ المِعيارِ..
أيُقاسُ الحُزن ويُقارنُ بالحرقِ؟
لن ينجو مِنها إلا بانعِقادِ عهد..
يزورهُ حُزنهُ في اليومِ ساعتين..

ثُمَّ يحينَ موعد الترحالِ

يُلّقنهُ درساً بعد ما عُذّب..

بأنَّ ما يمرُ بهِ مِن حُزنٍ..

عينهُ الذي سيَصنعهُ في نهايةِ المطافِ!

(١٠٤)

مسافةٌ ما بينَ مشاعركَ وفراغِكَ

يبدأُ الأمرَ بتأجيلِ مهامِكَ اليوميّة المُعتادة، تشعرُ بمَللٍ فظيعٍ مِن جُلوسِكَ فارغاً.. ثُمَّ تؤجِل شعورك لأنهُ يأخذُ حيزاً كبيراً مِن وقتِ فراغِكَ، تُوّجل كلامَك، لأنهُ ما مِن كلامٍ يُقالُ سوى سُكون عارم يُصيبُ داخِلكَ ويُسكِتَ لسانك، كأنهُّ مربوطٌ ومعقودٌ في حلقةٍ لا تُفتح إلا عندَ الضرورة، تؤجِل بُكاءَكَ لوقتٍ تُحددهُ، رُبما قبلَ النومِ حتّى لا تَضيعَ ساعاتكَ عبثاً.. ثم تؤجل يومكَ بأكمله.. لأنّكَ في وضعٍ مُزرٍ، لا صوتَكَ يِشجعُ على الحياةِ.. ولا حتّى كلامك.. لو بقيتَ صامتاً وقريباً لعُزلتكَ، فقد أصبتَ الاختيارِ..

(١٠٥)

نتغيرُ، نتقدّمُ، نرتحلُ لحالٍ أفضلَ أو إمّا ننكسرُ

خطوةٌ جديدة.. بحياةٍ شِبهُ عاديّة

تقدمّتُ على المسيرِ لحظةَ استيعابِ الفكرة..

سأتقدمُ على خوضِ تجاربٍ جديدة، كانت بديهية بالنسبةِ لي..

أكملتُ المسيرَ ولم يتمكّن الخوف ولا التوتر منّي.. (نُقطةٌ إيجابيّة لي)..

سأُحصي عدد نقاطِي عندما أنتهي فوراً مِن مُعاملاتي اليومية، تجاربي غير المُتوقعّة، خبراتي التَّي ستتطوّر، كُل شيءٍ موجودٌ بدافعِ الاهتمام والاندفاع..

إنّنا ننضج.. أحلامُنا لم تبقى برونَقها الجميل نفسه، لم تعد ذاتها، أصبحنا نمشي على نظريةِ الأولويات، خوفنا وتوترنا لشيءٍ كُنّا نعيشهُ سابقاً لم يعد يؤثّرُ فينا، ولا حتّى يُصيبُ طرفاً منّا، حتّى القلقَ سئم منّا وهرب ..

إنّنا ننضج..

(١٠٦)

علّها تنسى الحُدودَ وتقترب

تغيّرت الأُمور..

تغير كُل شيء..

ليس باستطاعتي ولا باستطاعتك أن تطلبَ المزيد،

جولتنا انتهت هُنا

في هذهِ الثانية،

لن نجرؤَ على العودةِ مِثلَ ما كُنا

ولن نجرؤَ على العودةِ لأشياءٍ خَذلتنا..

نستعيدُ ماضينا بأذهانِنا فقط..

مواقِفُنا، تفاصيلنا.. جُلَّ الأشياءِ تصيّرت وتجمعّت داخِلَ إطارٍ يحرُسهُ دماغنا..

وممنوعٌ منّكَ فتحَ الغِطاءِ عنهُ

مُلتفاً بسياجٍ بُنّي اللون، قديمٌ ولكن متين..

رُبما يِصلحهُ حاضركَ..

بل يُزيلُ ويُضيفُ بعض التعديلاتِ المُناسبةِ عليها..

علّها تنسى حُدودها وتقتربُ..

(١٠٧)

لا أُريدُ أن يعودَ لي شيئاً مُنتهي الصلاحيّة

لا أُريدُ أن يعودُ لي أيّ شيءٍ مِما مَضى، لستُ مولَعاً بخسارتهِ كما كُنت في السابقِ، لن أُمسِكَ به مثل الماضي، سأتركُ يداي خفيفتانِ عليه، ولن أمسكهُ بكاملِ أذرعي، سأتركهُ خفيفاً عليّ وعلى نفسي، حتّى فؤادي.. سأتمكّن مِن إقناعهِ بُمجردِ سويعاتٍ أنّهُ ليس ملكه، ولا حقّ لهُ بأنَّ ينبُض لهُ ببعضِ المشاعر، لا أُريدُ أن يعودُ لي شيئاً واحداً مّما مضى، أُريدُ أن أكونَ بطل نفسي، أن أنجو وأقفَ على قدميَّ وحدي، لا كلماتٌ تُحبطُني، ولا ماضٍ يؤثرُ عليّ.. أُريدُ الاحتفاظَ بروحي دونَ إيذائها، لا أُريدُ مِنها أن تُخدشَ، أُريدُ مِنها أن تهدأَ كُل الهُدوءِ.. فلا شيءَ يُعنيني غيرها..

(١٠٨)

مُتأخرٌ ولكنّهم استحوذوا مشاعري

ظَننتُ بأنَّ حُزني سيحملُني يوماً ما على أكتافهِ الرقيقتين، ولكنّني كُنتُ مُخطئاً.. ألمي لم يَعُد يُحتمل.. نفسي تتهربُ منّهُ.. ولا أحدَ هُنا يُمكنُ لهُ أن يُسعِفُني ولو بكلمة تسرُ نفسي، كُل الطاقاتِ السلبيّة استحوذت عليّ، إلى أن نجحت خُطّة صاحِبها وشعرتُ بعدمِ الفائدة. لستُ غاضِباً.. رُغمَ

أنّني مِن المُفترضِ أن أغضب، لأنّ ما حدثَ بداخلي لم يكنُ بسببي، جَعلوني في حالةٍ لا يُرثى لها لأنّهم كُلّما التفتوا وجدوني بجانِبهم، أُرَبِتُ على أكتافِهم الصَلبة عديمة الرحمة، حوّلوني بكلماتهم لشخصٍ بائس، مليءٌ بالغَضبِ، مُشبعَ الألمِ، وعميق الحُزنِ.. كانت خِبراتهم تقودهم ظانينَ أنّهم يفعلونَ الصَوابَ لكسبِ قُلوب الآخرين.. ومع ذلك، كُنتُ أنا المُخطئ دائماً.. لأنّني أسأمُ مِنهم، أحزن، لا أحتمل أن يُحرجَ أحدٌ أمامي بسببهم، فأقفُ معه، وأُصبحَ عدوٌ لهم.. يودونَ أن يقولونَ كُل ما يُريدونَ.. أن يجمَعوا خيوطَ السخرية، الأسى، المُزاح الثقيل ليُطبقوهُ عليّ.. كُنتُ حقلَ تجربة لديهم، ومُتوفّرٌ في كُل الأوقاتِ لديهم، كُنتُ دائماً ألجئ إليهم، لكنّ اليوم.. انتهت رغبَتيَ في الاستمرارِ.. بعدما اكتفيتُ مِن تجاربِ الحياةِ الثقيلة والمُوكّلة إلي.. مُتأخرٌ جِداً ولكنَّ سيطرةَ المشاعرِ ليست هيّنة..

(١٠٩)

علَّ المنطقية تحتلُ حياتِنا

كانَ مِن المُفترضِ أن ندلو بأنفُسنا خارِج حُدودِ فكرنا المُعتاد، أن نرنو قليلاً على خيالِنا، نُعطيهِ مساحةً أكبرَ مِن حجمهِ، أن نستمرَ بالغرقَ حتّى لو غرقنا.. إنَّ ما على الإنسان مُجابهته أن يعلمَ كيف له التصرفَ في الأوقات العصيبة، لا أتحدثُ عن المشاعر، فقد قدّمتُ العقل عليها.. نحنُ بحاجةٍ لدُنوماتٍ مِن المنطقيّةِ في حياتنا، لا يجدُر بِنا أن نعتادَ على النسخِ واللصقِ.. أن نحفظَ كُل شيءٍ عن ظهرِ قلب.. حياتُنا، تجارِبُنا، مواقفُنا، كلماتُنا، مشاعِرُنا.. جُل الأُمورُ تقودها أدمغَتنا، كيف نُسيطرُ على موقفٍ ونحنُ ضَعيفو الشخصية؟ كيف نحكُمُ على كلمةٍ بأنَّ وقتَها غيرُ مُلائم؟ كيف هذا، وذاك؟ ولماذا هُمّ؟

أنتَ وحدَكَ قادرٌ على اختيارِ واستجوابُ نفسك بالأسئلةِ المنطقيّة، بأنّ تُجيبَ نفسكَ بأجوبةٍ أكثر إقناعاً مِن الأسئلةِ عينُها.. فإن اقتنعتَ فقد تمكّن العقلُ منّك، وأعطاكَ رُزمةً مِن مُفرداتٍ أكثرَ تأثيراً..

(١١٠)

مُمتنونَ لكُسورِنا ..

أعرِفُ القاعَ جيداً،

اندرجتْ كُل طاقتي مِنه

اندفعتُ بكاملِ رغبتيَ في النُهوضِ

والوقوفِ..

حملتُ قوتي، عافيتي،

دفنتُ ضعفي،

خوفي، آلامي

حُزني، ماضيي التعيس،

مواقفي التَّي لا تُقال لأحد..

كُل شيءٍ خبأتُهُ في ذلك القاع،

قبل أن أخرجَ منهُ..

دفعتُ مأساتي بعيداً

وجعلتُها تعيشُ في عذابٍ

إنَّ كُل ذلك التَّعبِ

لن يمرَّ علينا

إلّا ليَصفعنا

وليَضرِبَ فينا الأمثالِ

كُلُّ ما نعيشهُ مِن حُزنٍ

سينقلبُ ضدّ أجسادنا

ولن نكونَ سوى ضحية للاكتئاب..

(١١١)

ربما لم أكن سوى رفيقُ مزاجكِ العبثيّ

رُبما لم أكُن سوى ملجئٍ تعودينَ إليهِ بعد يومِ عصيب..

تقفينَ أمامَ نافِذتُكِ.. تُناجينَ أحد لرُبما أقبلَ عليكِ مُتلهِفاً ليعلمَ ماذا يجري معكِ...؟

رُبما لم أكن سوى شخص يدفعُكِ لجمعِ مُخلفات أحلامُكِ المُلقاة.. بعد نوبةِ بُكاءٍ طويلة، بسببِ ما حاصرَكِ مِن سلبيةٍ وجفاء ..

لرُبما كُنتُ طمأنينة لكِ وكُنت أنتِ دُنيا مشحونةً بالخوفِ..

كُنتُ لكِ رُكنَ حانياً.. ولم تكوني لي سوى ركنَ قلقٍ وردمٍ..

(١١٢)

استنزفت الأيام قُوتي

كانت الساعاتُ تمرُ بصعوبةٍ..

الأيامُ تتقلّبُ بثقلٍ..

دقائِقها فارغةٌ.. شاحِبة..

سوداء.. بليدة..

كيفَ يُمكن أن أشرحَ بأنّ روحي مُتعبةٌ مِن جُلِّ الأشياءِ بعظَمتها وذَليلُها، كبيرُها وصغيرها..

تُعانِقُ نفسها بضماداتٍ، لكيلا تزيدَ مِن وطأةِ خُدوشِها، فتتيبّس..

قلّةَ حيلتي.. حذريَ المُستمر.. ترددي المُرافِقُ..

صبريَ الطويل.. وعوديَ البَلهاء.. تعقُّليَ المُنتظر..

كُلَّ شيءٍ يُبالغُ بدرجةٍ مُبالغٌ فيها.. فقد استنفذت الأيام قوّتي..

(١١٣)

لا تُسقِني جُرعةً..

تركتُ لكَ الفضاءَ فارغاً..

ولاحَ نظري على طريقٍ مُتفرّع

لا يلتقي طرفَكَ بطرفي

إلا عند بعض المُنعطفاتِ

أغُضُ بصري عن حوافِ دربِكَ

لأُخرِجَ نفسي مِن زِمامِ الحرجِ..

وَضعتني فيه مِن دونِ انتباهٍ

وتركتني مِن دونِ أيّ كلامِ

هجرتُ طريقاً مليئاً بالبشرِ

واخترتُ سبيلاً يُبرزهُ الانقطاعِ

أتدبرُ أُموري حتّى لو كُنتُ على جزيرةٍ
ومعي صندوقِ هواءِ

عِش حياتِكَ ولا تُلفتُ للمارّةِ نظراً
ولا تُسقِني مِن شوقِكَ جُرعةً..

(١١٤)

برَغمِ مرارة الأيام.. برَغمِ تنافُرنا.. إلا أنّنا صَديقين..

طُرقٌ فرقتنا.. كُلٌّ ذَهبَ مُتنافراً ..
ازدواجيةٌ حطّمت سُبلنا،
سنواتٌ مضتْ ونحنُ لا زِلنا نُفكّر.. أحقيقيٌّ ما جرى؟
أم أنها تقلُبات أيامِنا المريرةِ؟
سَحقت كِلانا إلى أن نطقت بالفِرارِ..
تُعطينا دروس لنهتمَّ ونَكترث..
داوينا أنفُسنا طيلةِ هذهِ السنوات بالطَمسِ
اعتدنا على الكِتمانِ.. على عدمِ الإفضاحِ..
رمينا بَعضنا بكلماتٍ.. لم تكن بمقدورِ أحدٍ منّا..
رُبما كُنا يافعيَنِ.. لم نتوقّع بأنَّ ما يحدُثُ سيَصدعُ أيامنا
لم نكُن نعلم بأنَّ للحياةِ حقٌ بإرسالِنا لطُرقٍ مُستنفرة عن أُخرها..
نحنُ الذينَ لم نعتد على المشي خُطوةٌ واحِدةٌ.. إذا ما كُنّا سوياً..
لم نعتد على البُعدِ.. لم يُكن صفة أحد منّا..

نحنُ الذينَ إذا تخاصَمنا، توقفنا عن الكلامِ وأعطينا للصمتِ جُرعةً مِن سُكونِنا.. يتقمّصُ دورَ الحاكِمِ للتوصِّلِ لأمرٍ يحلُّ بينَنا..

نلجأُ لحديثٍ رقميّ بينَنا.. نُحاورُ بعضِنا.. مَن خالَف الآخر ومَن المُتمرّد؟

لم نعتد على كلماتٍ تكسِرنا وتُحطِمنا..

قدمنا أعذارنا لكنّها لم تُكن مُقنعة..

تغيرنا لأسبابَ لم تكن موجودةً..

افترقنا لأعوامٍ بسببِ سيطرةِ طرف آخراً أهلكَنا..

لم أنظَر لكِ أنّكِ حطّمتِ أياماً لازِلنا نتمنّى عَودتها..

مُزاحاً نشتاقهُ..

لكِننا نتنازلُ اليومَ عنها.. بسببِ دقائقٍ عِشناها ونحنُ صَديقين..

(١١٥)

ماضٍ يصنعُنا.. وحاضر يعتبرهُ البعضُ سخطاً

لا شيءَ بالجديدِ هُنا..

أشياءٌ تقليدية بحتة

رمادية اللونِ.. لا ينجذب البعض إليّها

يحتكرونَ الألوان ويضعونَهم في بئرٍ عميقٍ..

وكأنّهم استولوا عليهم بجُلِّ قُوتهم وبأسٍ شديد..

لا يُحبذونَ الماضي،

ولا يُحبذونَ مَن يعودُ إليه..

يعتبرونهُ غريباً، تافهاً،

ولا علاقةَ لهُ بالمنطقيّة،
كأنَّ كُل الأشياءِ تدعو للضَحكِ،
وكُل الأشياءِ سخيفة..
لا يعلمونَ أنّ حاضرهم الذي يتماشونَ فيه الآن،
ليس مُتقدماً، بسببِ ما يحوي مِن تكنولوجيا..
على العكسِ تماماً،
تلكَ الأجهزة، التي تُثقلُ كاهِلنا،
تقتُل أهوائنا،
تُعيّشنا في حالةٍ مِن العبوديّة،
لننطوي تحتَ جَناحِها..
كُلها فقدت قيمةَ نتاجِنا
حتّى كِلماتنا أصبحت مُتشابهة
لا شيءَ غريبٌ هُنا..

سوى مَن رحّب بالغرابةِ الشاذّة..
ترحيباً مُريعاً مُرعِباً..

(١١٦)

وِفاقاً بعد خِصامٍ

مؤخراً.. تصالحنا مع فكرةِ الضُغوطات، التي تهجمُ هجومُ المُفترسِ علينا، في الوقتِ الذي لم نُدبّر فيهِ طريقاً للخُروجِ من رَحمِها بسهولة..

في الوقت الذي لم نعد نطمح إلا بمُسايرة الحدثِ.. وعودة كُل شيء إلى أحسن ما يُرجى ويُتوقع ويُنتظر بعد انقضاءِ تلك الأيام..

هكذا خَرجنا مِن معاركنا الماضية ..

حاربنا، قاتلنا، وَقفنا أمامَها بطريقةٍ شِبهُ مُتعبة وهالكة، خاليين مِن العِظام، وأجساد ذائبة.. تلقينا ضُروباً مِن الأنينِ والضغطِ المُتواصل، لتُعيقَ طَريقَنا، نفسيّاً، باطِنيّاً، وخارجِيّاً، حتّى تجاويفَنا لم تسأم مِنها.. لأنَّ ما حلَّ علينا لم يحلُّ إلّا لتُخرجَ شخصاً آخر منّا، مُدركٌ تماماً لمفهومِ سيطرة الضغطِ على الدُنيا والأنفس..

(١١٧)

مُعلّقٌ.. لا يُمكنُني التَّجاوز

مرّت خمسُ سنوات..

وأنا لا زِلتُ عندُ تلكَ السنة..

أُحاولُ تخطيها، لكنّني مبتوتٌ فيها..

كتبتُ فيها جُرعات مِن المشاعرِ،

الإسقاطاتِ، التُهمِ،

دخلتُ في نقاشٍ حادٍ مع نفسي، سلبَ روحي إلى أن فقدتُها..

بَعثرتُهم بشكلٍ مُتناثرٍ، عشوائي.. على هيئةِ نُصوصٍ مُرقّمة..

كُل واحدة مُستقلّة بذاتها.. تُقررُ مصيرها بيدها..

عرضُتهم على أفضلِ أصدِقائي.. لتخوضَ بتجربةِ القارئ، وفِهمِ ما يشعر..

"كانت مِن أعظمِ اللحظاتِ عندي..."

كتبتُ عن الألمِ والحُزنِ
وأنا لا أشعرُ بوخزٍ في فؤادي..
كتبتُ عن الحُبّ
وأنا لم أغرق يوماً بالحُبِّ..
كتبتُ عن الوداعِ،
ولم أُودّع إلّا شخص واحد.. وليس لي الحقّ بتوديعه..
كتبتُ عن الشوقِ لأحدِهم
وأنا مُتزنة.. كُنت أشتاقُ لطُفولتي..
كتبتُ عن العِناق
ولم يسبق لي أن عانقتُ أحداً..

حتّى أنّني أصبحتُ أشككُ بصّحةِ ما أكتب..

(١١٨)

ناطقٌ مِن النواطِق

الكِتابُ..
وسيلة اتصال جَماهيرية مطبوعة
تستهدفُ ملايين الأشخاصِ حول العالم

حروفٌ مُفردة تصنعُ كلمات بدائيّة.. جامعةٌ جُملاً مُتزنة تُعبّرُ عن واقعِ حال البشرِ..

يكتبُ كاتِبه بعض النصوصِ المُبرمةِ في ذهنهِ
ليُنظّم ما يحويهِ دماغهُ مِن شتاتٍ،
يُؤنسُ حُروفهُ، يُدللُها، يُزينها بالحركاتِ
ويُقدمها لمُستقبلونَ، فيروي مُختَزِلاً ما يدورُ في حياتهم..

الكِتابُ ناطِقٌ مِن النواطِق..
وما هو مكتوبٌ بداخِلهِ يعيشهُ ملياراتِ البشرِ ولو للحظةٍ أوشكت على الانتهاءِ..

(١١٩)

مُخالفٌ لأمرِنا، مُماشي لأمره

كان يوماً.. كأيِّ يوم مُملاً عند أي شخص..
لم أكُن بمزاجٍ جيد،
ولم أكُن بمزاجٍ مُتقلّب.. كُل شيء بمُنتهى العادية
لكنّني ما زلتُ على قيدِ الحياةِ.. أتنفس..
لم أتأكّد إن كُنتُ حقّاً أنا مَن يتنفس!
أم شخصٌ بجانِبِ شَقتّي.. صوتُهُ جَهوريّ سميك كأنّهُ بجانِبي
لم يدع لي وقت لأُفكّر بأي شيء..

كأنّهُ مِن الأشياءِ التّي تفرض الجَهلِ.. ويقفُ أمامَ التفكيرِ..
بكُل قوّتهِ ليُجيزَ قراراً بالإعدامِ..

استلقيتُ على الأرضِ،
زحفتُ لداخل الخِزانةِ..
استقرّيتُ أسفلَ السريرِ
بعد تجاربَ عديدة فاشلة من تخطّي امتحان التنفس ذاك!
تنقبضُ الأشياءَ لتحتضنَ بعضها بطريقةٍ مُزعجة
وتنبسطُ بعدَها لتعودُ مُبعثرة بشكلٍ رث فوضَوي

لم أجد حلاً لمُشكِلتي
لكنّهُ كان يتفضّل على نفسهِ أن يزورنا كُل يوم
لسبعِ ساعاتٍ مُتواصلة
لاستنشاقِ الأُكسجين في مِنطقتنا
زاعِماً أنّهُ الأنقى..

(١٢٠)

فقدتُ ثلاثينَ يوماً مِن عُمري
لم يكنُ يشدنّي ما أكتب
كُنت أُسجلُ نبضات حلّت عليّ إلى أن اقتَحمتني
قلمي فهِمَ الأمرَ مُنذُ بدايةِ الأمرِ

ولكنّهُ فضّل عدمَ الإذاعةِ به الآن..
وآمن بالوقتِ المُناسبِ ..

كتبتُ نُصوصاً.. على أنّها مُجرّدَ تجربةَ أداءٍ على اكتشافِ الجديد
استنشقتُ الواقعَ وبدأتُ دمجهُ بالخيالِ..
إلى أن أتممتُ الخمسمئة..

ثلاثون فَصلاً منها جمّعتُهم في سِلسلةٍ مُتتابعة
دمجت ما بينَ خيالٍ وواقعٍ
بمُفرداتٍ تشهقُ لها الأنفس

- فغدروني غدرةً لعينة... وفقدتُهم بطريقةٍ وحشية! قاسية جداً!
عاودتُ الكِتابة..
عاودتُ المُجازفة مرّةً أُخرى..
طمأنتُ حُروفي، أوراقي،
قَلمي ونفسي... أنّها أنا
ولكنّهم فرضوا عُقوبةً صارِمةً عليّ ..
بسلبِ كُل المُصطلحاتِ عند تذكري للثلاثين نصاً

ومِن حِينها
فقدتُ ثلاثينَ يوماً مِن عُمري..

(١٢١)

واحدٌ وعشرونَ سنة، مع غيابِ شيء مجهول

هذا الصَّباحُ كان استثنائياً..

أعددتُ قَهوتي لأوّل مرّة بإتقانٍ بالغ

المطرُ كانَ بحوزةِ الغيوم قبل دقائقٍ

وانهارت مُتساقطة بعدَ أن فجرّتُ فُقاعة تطفو على سطحِ كوبي

كأنّ كُلّ الأشياءِ اكتملت لوهلةٍ

أقرأُ شِعراً، قصائد، أي شيءٍ يتعلّق بالقديمِ،

خطر ببالي أن أعودُ للقراءةِ عن المذاهِبِ..

عن الأندلسِ والشعر الأندَلسُي

شيئاً من هذا القبيل.. المطرُ يجلِبَ معهُ إحساسٌ غريب

انتهيتُ مِن كتابةِ نصّي المُكرّم

أُكرّمهُ مِن أجلِ الحُروفِ.. مِن أجلِ اللُغةِ، مِن أجلِ العربيّة..

تركتُ كُل شيءٍ مُتعلّق بالتكنولوجيا، ولجأتُ لأقدمِ الأشياء.. والتَّي لم يعد سوى قلةٌ قليلةٌ، فئةٌ ضئيلة تستخدِمُها

الراديو..

يستخدموهُ طوعاً عن طيبِ خاطرٍ، عندما يُريدونَ بعضَ الحركةِ والصوتِ داخلَ السيارةِ، بدلاً من السُكونِ العارِمِ ..

أو في وسطِ ازدحام مُروري، لتخفيفِ حدّة الغضبِ..

لجأتُ لكُتبٍ مليئة بالتفاصيلِ، ذِكرياتٌ تأكُلُ الأُخرى، قُصاصاتٌ مِن الورقِ المُمزق، دفترٌ بغلافٍ أصفرَ كان يشهدُ علينا، كُل حرفٍ مركونٌ بداخلهِ فيهِ قصّة -لنا-

كُل شيءٍ يُستحضَرُ بقُدومِ المطر..

والآن، نَضِجنا.. كُل شيءٍ قد تغيّر،

كُل الأشياء والأشخاصِ أصبحوا يُتقِنونَ الوعي..

نَشف حقلِ مُزاحِهم ذاك،

صِرنا ننظرُ للحياةِ بنظرةٍ غريبةٍ

كيفَ أكملتُ الواحدَ والعشرين فجأة؟

هل تجاوزتُ كُل تلك الأيامَ؟

...ليس بحوزتي أجوبة...

هل حقّاً صارت سعادتي كوبُ قهوة؟

أنظرُ بغرابةٍ حتّى وأنا أُدونُ هذهِ الحُروف

سأتفقّد حياتي مِن جديد.. وأُدوّنُ اعتقاداتي..

(١٢٢)

أحضرُ بكاملِ رَغبتي.. أو أختفي تماماً ..

لا أتجزأ ..

لا أعرِفُ هيئة أنصاف الأشياء،

أحضرُ بكاملِ رغبَتي واندِفاعي

لا أعرِفُ إخفاء أمر ما خلفَ فؤادي
كُل شيءٍ يتورّد في وجهي،
على ملامِحي..
داخِلَ أعيُني.. ونظراتي
يظهرُ على وَجهي شكل الإهمالِ،
عدم الاهتمام والاكتراثِ
بليدَ المشاعِر، وفاقِد للدهشةِ
لا يمكِنني إخفاءَ أيّ شيء
لا حُزنٌ ولا غِبطة
لا شوقٌ ولا شك
لا أعرِفُ التضليلَ ولا الكِتمان..
ولا أعرِفُ شكل أنصاف الأُمور،
إمّا أن أحضرَ بكاملِ رغبَتي واندِفاعي..
أو أن أغيبَ عن الوُجودِ تماماً..

(١٢٣)

الأبوابُ تُفضي بي لغُرفٍ فارغة

لم أنم طويلاً في الأمسِ،
ليسَ بسببِ شيء يتعذرُ إرخاءَ الحركاتِ
والعمليات العقليّة

إلا أنّ مُشكلة البعثرة والفوضى حولي
دائماً ما تأكلُ وتُهمّشُ رأسي بأكمله
كان عليّ أن أعتادَ على الأمرِ..
لكنّها مُشكلة رافقتني مُنذُ القِدم
حتّى الأفكارَ ريثما تتفق مع بَعضِها
لتبدأ عملية الخلطِ والمزج
بحركةٍ دورانيّة عَجولة
وتستهّل أُولى خُطواتها بالتلاشي
شيئاً فشيئاً
وبشكلٍ مُتفرّق داخِلَ شرايينَ دِماغي تتوزّع
فَرضت عليّ رؤيةَ مشهد واحد
—غُرفٌ كثيرةٌ بأبوابٍ لا تُحصى
تُفتح وتُغلق بسرعةٍ هائلة
كأنّ الرياحَ لا تهب إلا مِن ذاك الاتجاهِ
كلّفني الأمر عقلاً بأكملهِ
لأعودَ لصوابي.. وألُمُّ زِمامَ أمري
ألتقطَ أنفاسي.. شهيقٌ وزفيرٌ عاليين،
بسببِ ما رَكنَهُ الخوف داخلَ أطرافي
ولكنَّه تمكّنَ منّي ..
وأسقَطني بحُجرةٍ فارغة..

(١٢٤)

أيامٌ مِن جَمرٍ ..

مُحتجزٌ في مكانٍ لا يُناسِبُهُ بتاتاً
تحت سقفٍ وفوق أرضٍ ضيّقةٍ،
بضيقِ روحهُ المُتنهدة..
مثقوبٌ بأيامٍ مُهترئةٍ ومُحاولاتٍ فاشِلة،
ومُستولاً على روحهِ جَمر مُلتهب
آمن بالمُحاولةِ.. مِراراً وتكراراً،
راهنَ على جُهدهِ وقوّته،
فأخفق..
كانَ يقضي على لذعِ الكلمة
ويضعُ اللطفَ في فاهِ كُل باغٍ
لكنّه لم يضمن أن تطفو مُحاولاته
الموبوءَة بالفشلِ
مرّة أُخرى إلى السطحِ
ففقدَ العزيمةَ
تصدّى لمخاوفهِ القديمة،
إلى أن هُزم..

(١٢٥)

ضميرُها: 'العقلُ ينضُجُ لا علاقَة بالعُمرِ'!

لم يُهديها النُضجُ جُرعةً مُعززة إلا عندما أذاقَها مرارة المواقفِ المُتكررة، أعطاها لتستطعِمَ بعضُ الرشفاتِ من كؤوسِ التجارب الخاصة بالدُنيا، يفرضُ ويُلغي ضريبته بيَديهِ وعلى مِزاجه، الأمرَ الذي مِن المُمكنِ أن يكونَ ذو منفعة أن معالمَ الطُرق تتغيّر، لا تبقى كما هي بعد سنواتٍ، كُلَّ الأشياءِ مُعرضةٌ للتغييرِ.. كُل الأُمور لها وَجهيَن مُختلفيَن، بدايةً ضعيفة وقوّة مُخبئة، انحطاط وتطوّر، نموٌ ونُضج، جريانٌ ورُكود.. جُل المسائل قابلة للتحوّل..

لا مَفرَ لديها، الأيامُ سَتنضِجُها، سيبقى الأسفُ مُرافقٌ لأخطاءِ الماضي، سيأكُلها الندم إلى أن يُؤرِقها، ستَصمِد، ستُحاول التأقلم.. لكنها ستلتمسُ العُذر للبشر، ثُم ستتقبّل حديثَ ضميرها.. 'العقلُ ينضُجُ لا علاقَة بالعُمرِ'!

الانحياز للهُدوءِ، الحياد للوَقارِ، تجاهل العِتاب، تجاوز اللومِ، الاكتفاء بالذاتِ، الاقتناع بالاستغناءِ، التصالح مع الغِياب، واختزال الكَلامِ.. هكذا فعلَ النُضج بِها.. وصلتْ لذروةٍ حدّدتها في أيامٍ ماضية، واختارتْ عدمَ مُشارَكةِ شيء مع الملأ.. لأنّها على عِلمٍ أنّ الناسَ لن يُسعِفوها إلا بالكُرهِ والرَّفضِ، فاستعانت بالكِتمانِ، شعرت بالنَّقصِ والانكماشِ.. إلى أنّ اعتادت على الأمرِ..

رَفضتْ التعلّقَ بعلاقاتٍ مُؤقتة وروابِطٌ وقتيّة.. منعتْ نفسَها مِن الانغماسِ بجِدالٍ أخرقٍ أو صَداقةٍ زائفةٍ..

عندما دخلت دائرة النُضجِ، وُجِب عليها إكرام مِنطقتها العصرية، دوّنوا لها بعضَ الشُروطِ على ورقٍ رمادّي، زعماً أن الرمادي يُفضّلهُ أغلب البالغينَ من الفتيانِ والفتياتِ.. وَضعوا بُنوداً مِن بينها، — عليكِ تركَ أحاسيسُكِ جانباً، لا نُريدُ أن نُهدِئ النُفوسِ، عليكِ الابتعاد آلاف المتراتِ عن البُكاء، إن رأيتِه يقتربُ منّك، اركضي جرياً بعيدةً عنّه.. لا تتذمرّي ولا تشت.. ولم تُكمل..

سئِمتْ غلافُ القسوةِ المُحاط بأرضِ المعمورة، مِن شمالِها لجنوبِها، ومن شرقِها لغَربِها.. سئمتْ مِن كونِها تائهةً وباهِتة، اللون الأصفر يحتّلُ وجهَها، تركتْ كُل ما يديها، ودوّنت على ورقةِ البُنودِ: 'كُلنا سننضجُ في الوقتِ المُناسِب.. لا تَفرِضوا بُنودِكُم الخرقاء، ولا تُفسِدوا أيامَنا بسخافاتِكم.. لا أحداثها ولا مواقِفها، اتركوا كُل الأشياءِ تسيرُ على ما يُرام ..'!

أمّا نحنُ... سَننضجُ في الوقتِ الصحيح..

(١٢٦)

العِشرين مِن ديسمبر

اختارت الصَّمت

ولجأت إليهِ

رغم كُل شيء

رغم كُل المواقف

رغمَ شجارها الدائم

مجهولَ السببِ،
إلّا أنّه يُداهِمُ أيامَها
بطريقةٍ تدريجيّة
مُزعجة..
تنامُ ليست شاعِرةً
بأيَّ شيءٍ حولَها
مُحاطةٌ بالدِفءِ
لا تشعرُ بأيَّ شيءٍ
سوى رأس يَثقلُ
شيئاً فشيئاً ..
إلى أن تُغمِضَ عيناها
بعدَ وقتٍ مِن البُكاءِ المُستمر..
رغم عِتابِها وصَمتِها
إلا أنّها تستجمُعُ
كُل قِواها..
في ليلةِ باردة
كبرودة الصمتِ بينهم
ماطِرٌ..
كما يُحبّه قلبها وقَلبه
الأمرُ يُشبهُ جُرحاً عميقاً

بارِز ومُشوّه الشكلِ
يتلاشى إلى أن يتجمّدَ الألم
خليطٌ مِن الصمتِ
والحُزن، البُكاء
والبردِ ..
يتغيّرُ موقِفُها
لتراجيديا مؤل..م..ة

(١٢٧)

أي مرارة وضعتكَ فيها العالم؟
لا أحدَ يفهمُ اختفائي
ولا أحدَ يُدركُ ضياعي
ولا صوتي المدفونُ في داخلي
أفكاري التَّي لا تَكُفَّ عن الدورانِ
لا أحدَ يعلمُ ماذا يدورُ في رأسِي
إن كان داخِلي مليء بالخوفِ
أو عدم الاطمئنان
أترُكُ مُنتصفَ الطريقِ
عندما تحلُّ دقيقة الهُروبِ
مِن دونِ إنذارٍ سابق

مِن دونِ اعتذار مِن طرفي
ألوذُ بالفِرارِ..
سيُدركونَ أخطائي
ويعتَبرونَ الهُروبَ أكبر عَثراتي
هكذا وُلدتْ شَخصيتي
أهربُ وكأنَّ الهُروبَ
شيءٌ مُلاصِقٌ بي،
حتّى أنني هربتُ
عائداً لحُفرتي، لغُرفتي
قبل أن أُتمِمَ النص..
هربتُ
لأنّه حانَ وقت الهُروبِ..

(١٢٨)

إنّني مُرهقٌ.. لا أُخفيكم

صِدقاً... قلبي ليسَ بخير، حاولتُ أن أرضي الجميع، حاولتُ أن أكونَ ثرثاراً، فكرهني البعض، حاولتُ أن أكونَ ساطِعاً، مُلماً بذاتي، فسمعتُ أشياءً لا يجدُرُ بي سَماعها.. حاولتُ أن أكونَ عصرياً، أمشي مع مُلامساتِ وإضافاتِ العصرِ، لكنّني لم أتمكّن مِن معرفةِ كافة الأشياء المُتعلّقة في هذا الكون، غريبٌ أمره، يُحدَّثُ بطريقةٍ غير منطقيّة، وفيهِ مِن التَّخلّفِ ما يتسّع لأُناسٍ كُثر.. لا يُمكنني اصطناعَ شيء ليسَ بداخلي، أنا طبيعي،

أتماشى مع الواقعِ، أعيشُ حياتي كما هي، بَنَيتُ شخصيتي بالنسبةِ لأُمورٍ أُفضّلها، أُتقِنُ الفِهمَ فيها..

لستُ مُستَعِداً لأعودَ مُرهَقاً، دائم الاختباء بغَرضِ الحياءِ كما كُنتُ في أيامي السَّابِقة، لستُ مُستعِداً لأكونَ قابلاً للانزواء، ولا للسكونِ أن يُسيطرَ عليّ.. هُدوء الأيامِ تُناسِبني..

لم أتمنّى يوماً أن أكون كما أراد الآخرون، ولم أتمنّى أبداً أن تتغيّر شخصيتي لشخصيةٍ أُخرى مُشابهة ومُماثِلة، وددتُ أن أعيشَ بطبيعتي لا باصطناعِهم، أردتُ أن أبني نفسي تدريجياً مِن أُمورٍ تُفضلها ذاتي..

عِشتُ بشخصيةٍ مُحبّة بنظري، صادقةٌ مع أصدقائي، مُعطية، أُعطي بحُبٍّ، مُنعزِلة بعض الشيء، مُحترمة لآراء الناس وانعزالهم، أحنو على الضعيفِ ولو كان أشدَّ أعدائي، عاشِقةٌ للعِناقِ، قاسية على المُعاتِبِ، وقويّة عند إظهارِ الحقِّ، بنيتها على هذا الأساسِ، وابتعدتُ عن مناطِقٍ ليست لي.. لكنّهم اتهموني بسَرقَتِها.. ومع ذلك، أصبحتُ سارقةً بعينهم، وأنّي لا أصلحُ لشيء بسببِ ما أراهُ بفؤادي ..

لا أُخفيكم.. آلمني بدايةً ما يُقالُ..

لكن

لا بأس..

فأنا أُحاوِلُ البقاءَ بخيرٍ دائماً..

(١٢٩)

سنُحاولُ مُجدداً بالخُطّةِ "ب"

قبل دقيقة مِن الآن..

كانت حِكايتنا تُقاوم السُقوط

مُمسكة بطرفِ خيطٍ رفيعٍ

تربُطُ نفسها خوفاً مِن الإفلاتِ

فكِلانا نشعرُ بالدورانِ

عندَ الاقترابِ مِن الحوافِ

وعندَ النظرِ مِن المُرتفعاتِ..

حاولتْ الصُمود

ولكنّها أفلتت أصابِعها

بطريقةٍ ليست سهلة

قاومت سنوات

والآن تركت لنا آثارَها

رُبما سئمت مِن خِلافاتنا المُعتادة

لا أحدَ يعلم

لكن مِن الجيدِ أن أوصلتنا

لهذهِ النقطة

لأنّنا لم نعتد على الاستسلامِ

فكِلانا عنيدينَ

للبدءِ من جديد..

(١٣٠)

أنا هُنا.. مدفونٌ، موجودٌ، حَيّ هُنا ..

إنّني مدفونٌ في هذا العالم، أُعلِنُ عن تواجُدي هُنا، أرفعُ يافِطاتٍ، أَلفتُ نظر المارّة أنّني هُنا، قريبٌ منهم، لكن، لا أحد يُجيب، لا أحد يهتمُ بما يحصُلُ حولهُ، أو أنّهم لا يكترثونَ لأمري.. أعلمُ تماماً أنّني سأجدُ مكاناً هُنا.. أميلُ إليهِ بالقُربِ، مُتأكدٌ أنّني سأجدُ أيضاً مكاناً دافئاً في وسطِ الصقيع والبرد، أن أجِدَ ملجَأ لي بعد التيهِ والضَلال، وبعدَ التشويشِ وُضوحاً وسكينةً، وبعدَ التشرّد طمأنينةً واستقراراً..

أنا مدفونٌ في هذا العالم، أشتاقُ للسُحبِ الصغيرة البيضاء، خفيفةٌ كقطرات المطر، أشتاقُ لحياةٍ عِشتُها قديماً، ولم أستطع أن أعيشها الآن، بسببِ أخطاء الماضي، أحِنُ لتلكَ الأيام صِدقاً، أحِنُ لأصدِقائي، لمواقفي العفويّة، كُل شيءٍ تغيّر بسببي.. بسبب سخافتي، وكلام لم يُعطِني إشارة ليخرج.. خسرتُ كُل شيء، حتّى حُدود الماضي، تصفعُني في كُل مرّةٍ أستذكرُ فيها دقيقةً مِن تلكَ الدقائق.. رُبما تُحاولُ إبعادَ الألمَ عنّي.. ورُبما تخافُ عليّ أكثرَ مِن خوفي على نفسي..

لا زِلتُ متواجد هُنا.. مُشمئز مِن هذا العالم، أسرحُ في كُل الأشياء، أجِدها تتنفّس، داخِلها روح، بعضها تتنهّد، أرى كُل شيء خارقٌ للقوّة، علمتُ أنّني داخِلَ سياق خيالي، وقتٌ تجاوزتُ به، إلى أن أصبحتُ أكتُبُ روايات جعلتني أفقدُ المنطقيّة، جعلتُ كُل الأشياءِ تتحدّث، تضحك، تُبدي رأيها، تتألم، تبكي.. هربتُ من عالمي الافتراضيّ، أطلتُ في النومِ، كُل ذلك لأنّني مُشمئز مِن هذا العالم..

(١٣١)

علّمتُ نفسي على اختيارِ ذاتها

وصلتُ لمرحلةِ الإشباع في حياتي.. لا أرغَبُ بأشخاصٍ يُعطونني نصائح وكأنّهم لم يقعوا مرّةً في الخطأ، ولا أُريدُ أصدِقاء بمُجردِ دخولي في حالةٍ مِن الحُزنِ يُعنفونني ويتهمونني أنّني تغيّرتُ معهم.. تكفيني نفسي مِن جُل هذا الكون، إن أخطأتْ، سأُسامِحُ ذاتي وأغفر..

لا أرغَبُ في الوصولِ لمرحلةِ التيهِ بعدما وجدتُ ما يُناسِبُني، ولا أرغَبُ بفُقدانِ ذاتي.. أُريدُ حياة سوية، تخلو مِن كُل العُيوبِ التَّي مِن المُتوقّعِ حُدوثِها، أُريدُ أن أعيشَ بسلامٍ مع ذاتي، فقد وصلتُ للمُستوى الأعلى مِن

الإشباعِ ..

أُريدُ اختيارَ نفسي، في كُلِّ مرّة يُخيّرني فيها الكون بيني وبينَ أَمرٍ آخر، أقسمتُ على أن أُعامِلها بحنينٍ، فهَي لا تستحقُ العُنف، أقسمتُ أن أدنو بنفسي لحضنها في المرّاتِ التّي أشعرُ فيها بالتَّعاسَةِ، ولن ألجأ لحضنٍ آخر، وعندما أكونُ في حالةٍ مِن الغِبطةِ، ستكونُ أوّل مِن يقفِزُ لي استبشاراً وسروراً.. أُريدها أن تفقدَ الاعتمادَ على البشرِ، أن تُلغيهم تدريجياً، ألّا تحتميَ بهم عِند الخوفِ والضعفِ، فلا أحد سيكترثُ لأمرها، ما إن ارتجفت خَوفاً، تركوها في موجةٍ حادّةٍ مِن البُكاءِ.. الأمرُ معقودٌ بي، فالإشباعُ وصل بي لأعلى مراتبَهُ..

(١٣٢)

مُحاطونَ بالدفءِ باحثينَ عنه ..

لا نزال نبحثُ عن دفءٍ

يُعانِقُ قلوبنا

يحتضِنُنا ليحتوي عِظامنا
لا نزالُ نبحثُ عن الدفءِ في طيّاتِ مواقِفنا
في شَظايا نُصوصٍ نقرؤها
في كلامِنا لبعضِنا
وفي سُلوكِنا..

لا نزالُ نبحثُ عن دفءٍ
يُرافِقنا
يُسيطرُ على دواخِلنا
بدلاً مِن البرودِ
الذّي يستحوذُ جَوفِنا
مخفيٌّ بطريقةٍ ظاهرة
وظاهرٌ بطريقةٍ مَخفيّة
مستورٌ مكتومٌ عندَ الصمتِ والسكوتِ
واضحٌ مكشوفٌ عندَ التفّوه والتَّلفُظِ

نبحثُ عن دفءٍ
يُسكتُ زَمهَريرنا..
يُخططُ لبناءِ أغلفةٍ
تُحيطُنا..
لنبقى في حدودِ الدفءِ

مُبتعدينَ عن صقيعِ أيامِنا الصارِم..

(١٣٣)

وجعٌ على طبقِ ذهب

هَدرنا الحِب،

وكذّبنا الأعذار،

زيّفنا الوِداد طوال الوقت..

مشينا مُعاكس للطريقِ،

ولم نهتّم للعاجِل مِن القول

كُلَّ شيءٍ في هذا العالمِ

لهُ حقٌّ بالأذيةِ ورَمينا بالألمِ،

يرمي علينا سِهاماً جمّة

لتُعيدنا لنفسِ العذابِ

لنفس الموقفِ،

ولنفس الطريق..

حطّمنا كُل الأشياءِ حَولنا

دمّرنا، فقدنا السَّيطرة

على مُمتلكاتنا

لم نعد نسعى للاختيار

مِن أشياءٍ مُتعددة..

اكتفينا بما لدينا

من وجعٍ وقهرٍ

هكذا تُعطينا الأيام

وتُفضلنا..

(١٣٤)

توانيتَ كثيراً.. وحانَ أواني ..

تأخّر الوقتُ جداً، لتكتشِفَ مَن أنا، وكيف أبدو مِن الداخلِ، إنّ كُنتُ حقّاً قد جازفتُ للوصولِ لهُنا.. لهذهِ النقطة، ولهذهِ المرحلة، لم أتمكّن في بدايةِ الأمرِ أن أصِلَ لتطلُعاتي، شعرتُ بأنَّ كُلَّ شيءٍ باهت حولي، كُل الأشياءِ فاقِدة لحِسها العَفوي، شعرتُ أنّني عاجِزٌ عن فِعل أبسط الأشياء حولي.. شعرتُ أنّني لا أُساوي شيئاً في هذا العالم.. وأنّني هُنا مِن ضِمن السبعةِ مليار شخص على أرضِ المعمورة.. كأنّني مُجرّد رقم..

تأخّر الوقتُ جِداً، فقد حلّ احتلالٌ حطّم أجزائيَ الكاملة، زعماً أن مُدّة انتهائِها حلّت.. وأنّها باتت مُتعفّنة.. أزاحَ اللهفة المعقودة فيها.. شرّدها، نفاها بعيداً، بعيد جداً.. لم أعلم ما مُشكلتهُ معهم.. لكنني أعلمُ عندما تحتلُ لهفتي عليَّ، سيَخرجُ نصاً عميقاً، يُحرّك الأحاسيسَ ولو كانت صخرة..

— عندما يُسيطِرُ الحُزنُ عليك، فكّر بطريقةٍ مُقنِعة، فكّر بالوُقوعِ في شغفهِ.. ليُعطيكَ رُزمةً مِن المشاعِر المُزيفة، والتَّي تَصلحُ للكُتبِ والخيال..

(١٣٥)

ترتَطِمُ بي الأشياء جمعاء

لم أُغادر المنزلَ مُنذُ شهور مُتواصلة،
ذخيرة الشوقِ قد اكتملت لدّي
رسائلي اختفت وتدّعي أنّها نفدت
مُنذُ أشهرٍ وأنا لا زِلتُ أُعاني
مِن ركاكةٍ في كلامي،
صعوبةٌ في صفِ الحُروفِ
وتكديسٍ في الذكرياتِ
بشَكلٍ صريح وواضح جداً
تُهدّدني ذِكرى مُجمدة في ذِهني
بأنّ أُعيدَ تذكرها مئات المرّاتِ
لأتجمّدَ،
ليقتلني الألمَ وأتجمّد!
بل أتصلّب حتّى لا أشعرَ بأيَّ شيء..
كُل الأشياءِ تُعلّمني بطريقةٍ جَشعة وقاسية
كأنّها لا توجدُ أي طريقةٍ للتعلّمِ
إلا بهذهِ الطريقة المُوحِشة..

(١٣٦)

وجودٌ مُسجّلٌ في صُحفِنا

نحتاجُ بعد كُلِّ فترةٍ
أن نشعرَ بالوجوديّة
أن تحدُثَ أُمورٌ
خارجةٌ عن المُعتادِ
أُمورٌ ليست مرئيّة
وإنّما محسوسة
معنويّة، ذات معنًى عميق..
كتحنانٌ وعَطفٌ دائميَن،
يسرِيانِ في العُروقِ
لحينِ التَّوقُف عن تدفقِ الدمّ..

نحتاجُ بعدَ كُلِّ مُدةٍ
صورةٌ قياسيّة عن حالِنا
عمّا كُنا فيهِ سابِقاً
وما نحنُ عليهِ الآن
ما فكّرت بهِ أدمِغتُنا
وقادتنا إليه أقدامنا
إلى أن سجّلت لنا

هذه الخُطوة أنّها

مُتخذة باشتدادٍ واستصعاب..

(١٣٧)

مسائلٌ تختبرنا الحياة بهم

حدثٌ.. مكتوبٌ مُنذُ أن أدخَلنا أنفاسَنا الأُولى على رئتينا، مُسجّلٌ في اليومِ كذا، في الساعةِ كذا، أنّها ستنتهي صَداقتُنا.. لن أتّهمَ سنوات عُمري، ولن أتّهمَ نفسي، ولا حتّى سخافتي، كُل شيءٍ مُدوّن.. كُل الأشياءِ والتَّفاصيل مكتوبة ..

لم تتوقف أيضاً على صَداقتِنا فحسب.. تحوّل كُل مَن هو قريبٌ لغريبٍ بمُنتهى السُّرعةِ، لم أتوقّع أبداً أن يتحوّل كُل ما عِشناهُ لدقيقةٍ تُنسى وكأنَّ شيئاً لم يكن..

أيامي أصبحتْ مُتقلّبة، مُثقلةٌ لدرجةٍ لا تُحتمل، بينَ أبيضٍ وأسود، بل احتّلها الرمادي الخافت.. كُل شيءٍ أصبحَ مُحزنٌ، حتّى أنّ الشفقة استولت على نفسي..

وهذا ما جرى..

(١٣٨)

لن أُرضيكَ وأتلفُ أعصابي

لا أحتمل كثرةَ السؤالِ

ولا الأسئلة المُتكررة،

المواضيع المُعادة تُثيرُ هيجاني،

لا أحملُ طاقة لأيّ منهم
حتّى أنّني كونّتُ علاقةَ كُرهٍ
بيني وبينَ ورقة الامتحانِ..
لم أفهم!
كيف لورقةٍ أن تحتملَ كُل تلك الأسئلة؟
كيف لهُ أن يستعلِمَ عن كل تلكَ الاستفساراتِ؟
كيف لهُ أن يستنشقَ كُل هذا القدر من الاكسجينِ
فقط ليُكوّنَ جملةً استفهاميّة؟
كُل تلك الأسئلة بحاجةٍ إلى أجوبةٍ
وليس في جُعبتي كلمةً واحدة لتلبيةِ علامات الاستفهام
ولن أُكوّنَ جُملة تنتهي بنقطةٍ لإرضائه
'فإرضاءَهُ مُهمشمٌ'
لن أُكوّن لهم ردّاً يكتفونَ بهِ،
سأجعلُ أدمغتهم تستجمعُ
كُل الافتراضات وجُل الاحتمالات
وأعيشُ مُنتعماً
بحالٍ يُشبِهُني..

(١٣٩)

استقرّت نهايتي هُنا!

قد تتكوّن لي رغبة في الاختفاءِ، بالابتعادِ عن العالمِ، بمسحِ كُل لحظاتِ الفشل، الحُزن، الألم..

أجلسُ وحيداً بمُفردي، بغُرفتي، بعالمي، مع أفكاري وهدوئي، بانعزالي وبينَ كُتبي وأشيائي.

رُبما يتفاقمُ خيالي قليلاً، يتخيّل نفسي بعد أربعِ أو خمسِ سنوات، أقفُ مُتجمداً، ثمَّ أعودُ لِلحظتي، لا أستجمعُ شيئاً ممّا تخيّلت، لأنّني لمْ أتخيّل أي شيء.

أنتظرُ لحظتي لأعيشُها، بكافةِ تفاصيلها، حتّى في حُزنها وفشلها، لا أحدَ يخوضُ طريقَ النجاح برمشةِ عين، ولا أحدَ يغوصُ في أعماقِ الفشلِ ويستمرُ به، إنَّ أرواحنا تسيرُ على خيّطٍ رفيع بين النجاحِ والفشل، وبين الحَزم والعجزِ، وبين الجِدِ والكسل .

يُمكننا أن نعقدَ اتفاقية فِراقٌ مِن هزائمُنا، وفي جانبٍ آخر، يُمكننا أن نعقدَ صُلحٌ مع ذواتنا، لنبدأ بسردِ قصصنا، ليست تحتَ مُسمى قِصص النَّجاح ومفروضٌ علينا أن نقرأها بتمعنٍ وإصغاء، عن نفسي أجدُها مُملة جداً، وأغلبها فاقدةٌ للبلاغة، بعضُها مليئة بالأخطاءِ اللغويّة والنَّحويّة، أهربُ منها موصداً باباً من حديدٍ على نفسي، كيّ أتمكّنَ من إنقاذِ ذاتي.

قِصصنا ستُسردُ يوماً ما بكُتبٍ نحنُ نكتبُها، لنقرأها لأنفسنا يوماً، إن شعرنا بالإحباطِ ولو لثوانٍ، نعلمُ بأنّنا اجتزنا مراحلَ عديدة منها. حياتُنا مليئة باللُحيظاتِ المُشابهة لبعضها، لذلكَ أبدأُ من طرفِي بكتابةِ بعضاً منها في نصوصي، لأتمُّ بصمتي هُنا..

لا نُريدُ أن نرحلَ كما جئنا من طينٍ، أوّل مرّة.

انتهيتُ هُنا..

اخترتُ النهاية أن تكونَ في ديسمبر!

٢٣| ديسمبر ٢٠٢١

مؤازِرتي، داعِمي الدائم..

شقيقتي..

دارين